



وزارة التعليم العالي و البحث العلمي



جامعة جيلالي بونعامة خميس مليانة

كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

أخلاق القوة عند ميكيا فيلي تأثيراتها على السياسية

مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

: فلسفة سياسية

:

/ سي البشير محمد

:

*مختاري سعيدة

* حارتي فتيحة

السنة الجامعية : 2016-2017

شكر وتقدير

لا يسعنا عند إتمام هذه المذكرة إلا أن نقف وقفة شكر وحمد لله سبحانه وتعالى على توفيقه لنا في إنجاز هذا العمل.

كما لا يفوتني أن أقف وقفة شكر وتقدير إلى كل من قدم لي يد المساعدة في إعداد هذه المذكرة المتواضعة، أخص بالذكر الأستاذ المؤطر: السي البشير الذي عمل على توجيهنا وإثارتنا بما يكفل لنا النجاح

كما أتقدم بالشكر الجزيل لأساتذتي الذين تابعوننا في مشوارنا الدراسي بالجامعة في طور الماستر خاصة: الأستاذ "مخوخ، لقوس، بودالي، فتاحين، واحك، بن خيرة، بكيري، منير، قيلامين، أمبارك، قشراوي" ولم يبخلوا علينا بتوجيهاتهم ونصائحهم القيمة، إلى كل هؤلاء نقف وقفة إجلال وتقدير.

إهداء

إذا كان الإهداء يعبر ولو بجزء عن الوفاء فالإهداء إلى..

من كان سنداً لي ومعينني ومعين طريقي "أبي" رحمه الله وأسكنه فسيح جناته

إلى من حمتني من كل شر، إلى من أنارت دربي ووقفت إلى جانبي في حلو الحياة ومرها "أمي" حفها الله

وأطال عمرها، إليك أهديك حياتي

إلى من عززوا ثقفتي بنفسي "إخوتي وأخواتي": خليل-فؤاد-ابراهيم-رشيد-عبد القادر، غنية-زهية"

أهديكم قلبي

إلى من دعوا لي "أزواج وزوجات إخوتي وأخواتي وأولادهم وبناتهم" أهديكم بشرة خير

إلى زوجي رفيق دربي "خالد" أهديك تضامتي

إلى صديقاتي العزيزات على قلبي: فاطمة، أحلام، أمينة، فاطمة، كلثوم، فاطمة، سعيدة،

فريدة، مليكة، شمرة أهديكم ثمرة علمي

إلى أساتذتي أهديكم احتراممي

وإلى أستاذي المشرف السي البشير أهدى لك بسمة أهل

وإلى كل من ساعدني وأعانني في إكمال دراستي كل التقدير والاحترام.

فتحية

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم

إلى من يسرنى وجودهما في حياتي وإلى من انبثقت على أيديهما ثقفتي بنفسي والدي العزيزين

إلى جنتي فوق الأرض وبينبوع العطف والحنان إلى ابتسامتي في الوجود أمي حفظها الله وأرضاها

عني "فاطمة".

إلى من أعتز أن أحمل اسمه والذي علمني أن الحياة أخذ وعطاء وهو تاج رأسي، إلى أبي الحنون رحمه الله

وأسكنه فسيح جنته "أحمد".

إلى من سد خطاي وإلى من انحنى ظهره ليكون سلماً أصدق عليه، إلى قرة عيني أخي الحبيب عبد القادر

إلى أعز إنسان على قلبي وشريك حياتي زوجي الغالي عبد الله وإلى عائلته الكريمة بلقاسمي

إلى سدي في الحياة ومنبع فخري واعتزازي إخوتي "حميد، كريم، أحمد، علي، بوزيان" وأخواتي "زهرة، خيرة

، نصيرة، فتية، سهيلة"

وإلى أبنائهم الأعمام "سفيان، أنس، أمين، أيوب، قصي"

إلى أعمامي وأولادهم محمد رحمه الله، عبد القادر، علي، عبد الرحيم، خليل، وليد.

إلى صديقاتي رفيعات دربي "شريفة، زهرة، أسماء، فتية، فايزة، جويذة، فتية"

وأهدي ثمرة عملي المتواضع إلى كل من لم تسعمم مذكرتي ووسعتهم ذكرتي.

سهيلة

إهداء

إذا كان الإهداء يعبر ولو بجزء عن الوفاء فالإهداء إلى..

من كان سندا لي ومعيني ومنير طريقي "أبي" رحمه الله وأسكنه فسيح جناته

إلى من حمتني من كل شر، إلى من أنارت دربي ووقفت إلى جانبي في حلو الحياة ومرها "أمي" حفصا الله

وأطال عمرها، إليك أهديك حياتي

إلى من عززوا ثقتي بنفسي "إخوتي وأخواتي": خليل-فؤاد-ابراهيم-رشيد-عبد القادر، غنية-زهية"

أهديكم قلبي

إلى من دعوا لي "أزواج وزوجات إخوتي وأخواتي وأولادهم وبناتهم" أهديكم بشرة خير

إلى زوجي رفيق دربي "خالد" أهديك تضويتي

إلى صديقاتي العزيزات على قلبي: فاطمة، أحلام، أمينة، فاطمة، كلثوم، فاطمة، سعيدة،

فريدة، مليكة، شمرة أهديكم ثمرة علمي

إلى أساتذتي أهديكم احترامي

وإلى أستاذي المشرف السي البشير أهدى لك بسمه أهل

وإلى كل من ساعدني وأعانني في إكمال دراستي كل التقدير والاحترام.

فتحية

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم

إلى من يسرنى وجودهما في حياتي وإلى من انبثقت على أيديهما ثقفتي بنفسي والدي العزيزين

إلى جنتي فوق الأرض وبينبوع العطف والحنان إلى ابتسامتي في الوجود أمي حفظها الله وأرضاها

عني "فاطمة".

إلى من أعتز أن أحمل اسمه والذي علمني أن الحياة أخذ وعطاء وهو تاج رأسي، إلى أبي الحنون رحمه الله

وأسكنه فسيح جنته "أحمد".

إلى من سدد خطاي وإلى من انحنى ظهره ليكون سلماً أصدق عليه، إلى قرة عيني أخي الحبيب عبد القادر

إلى أعز إنسان على قلبي وشريك حياتي زوجي الغالي عبد الله وإلى عائلته الكريمة بلقاسمي

إلى سندي في الحياة ومنبع فخري واعتزازي إخوتي "حميد، كريم، أحمد، علي، بوزيان" وأخواتي "زهرة، خيرة

، نصيرة، فتيحة، سهيلة"

وإلى أبنائهم الأعمام "سفيان، أنس، أمين، أيوب، قصي"

إلى أعمامي وأولادهم محمد رحمه الله، عبد القادر، علي، عبد الرحيم، خليل، وليد.

إلى صديقاتي رفيعات دربي "شريفة، زهرة، أسماء، فتيحة، فايزة، جويذة، فتيحة"

وأهدي ثمرة عملي المتواضع إلى كل من لم تسعمم مذكرتي ووسعتهم ذكرتي.

سهيلة

مقدمة:

تصاعدت أصوات منذرة بالظروف الجديدة في حياة الإنسان الحديث ومع انحلال الحضارة الغربية التي فشلت من جراء عجز الدول الأوروبية على تحقيق الوحدة في الدويلات المتخاصمة، الأمر الذي مس الجانب المعرفي أيضا من خلال التأثير على الفكر التاريخي والسياسي، فالفوضى المنتشرة من جراء هذا هددت بسحق العقول الأمر الذي أزاح العالم نحو النكسة التي انتهت من الفكر النقدي والشك إلى الشعور بعدم إدراك اليقين.

بدأت هذه الأزمة منذ وقت طويل، وبلغت الذروة في القرن التاسع عشر أو بالأحرى في القرن العشرين مع ما حدث مؤخرا في العالم، فهي أزمة تضافرت طائفة كبرى من العوامل على ظهورها واستفحالها ومن الجائر أن نذكر في طليعة هذه العوامل فشل المذاهب الأخلاقية الكبرى في نماذجها القيمة من جهة وفشل العلم الذي حاول أن يقارن الإنسان بالآلة من جهة أخرى وسط هذا النشاط العام سمعنا صوتا هللا لهذا السقوط رغم أخطاره، وكان هذا الصوت الذي كان خافتا خفيضا في بدايته مرتفعا صدها في نهايته هو صوت الفيلسوف الإيطالي "مكيافيلي"، وهذا ما سنتطرق إليه في موضوعنا حول أخلاق القوة عند ميكيا فيلي وتأثيراته على الأنظمة السياسية المعاصرة.

وعليه نطرح الإشكالية التي يدور عليها مدار البحث كله:

ما مدى تأثير أخلاق القوة التي تبناها نيكولا ميكيا فيلي على الفكر السياسي المعاصر؟



وبناء على هذا نطرح التساؤلات الآتية:

كيف كانت الأخلاق وعلاقتها بالسياسة قبل ميكافيلي؟ وفيما يتمثل مظهر النظرية الميكافيلية؟ وما مدى تأثيرها على الأنظمة الراهنة للحكم السياسي؟ وهل تجسدت نظرية الميكافيلية على الأرض الواقع؟

إن اختيار أي موضوع للدراسة يتم وفق مبررات يحددها الباحث، إذ لا يمكن لأي باحث دراسة مشكلة دون أن تكون قد أثارت في نفسه العديد من التساؤلات والمبررات التي دفعته إلى اختيار موضوع للدراسة، مما دفعنا لاختيار هذا الموضوع:

- ✓ يعود اختيارنا لهذا الموضوع لأسباب موضوعية وأخرى ذاتية.
- ✓ الأسباب الموضوعية تظهر في شخصية ميكافيلي التي لازال صيتها فاعلا في الحركة السياسية الغربية.
- ✓ أما الأسباب الذاتية فتتجلى من خلال ما هو شائع لدى الأوساط الغربية وحتى العربية عن موقف العديد من الدكتاتوريات من أفكار ميكافيلي وكيفية الوصول إلى الحكم عن طريق القوة.
- ✓ كثرة الدراسات التي دفعتنا للفضول للبحث عن تأثيرات الفكر الميكافيلي على الحكم.
- ✓ إبراز دور الفكر السياسي لميكافيلي ومساهماته في تحقيق النهضة الأوروبية عامة وإيطاليا بالخصوص.
- ✓ معرفة الأسباب التي دفعت بميكافيلي لفصل الأخلاق والدين من الدائرة الأساسية.



إن الهدف والقيمة التي تكمن في البحث هي إبراز دور الفكر السياسي لمكيافلي في كيفية تحقيق الوحدة القومية في إيطاليا وتأثير هذا الفكر على الأنظمة السياسية المعاصرة.

ولمعالجة هذه الإشكالية اعتمدنا على المنهج النقدي وذلك من خلال أهم الانتقادات الموجهة إلى الفكر السياسي لميكافيلي، كما اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي من خلال تحليل الأفكار الناتجة عن التماشي مع الفكر الميكافيلي مع وصف الأحداث بتواريخها

اعتمدنا في كتابة موضوعنا هذا على عدة دراسات من بينها:

- جمال عبد الناصر وجماعة الإخوان المسلمين 1952-1970 م، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، من إعداد الطالبة تامة يونس تحت إشراف الأستاذ بوعافية السعيد، تحت إشكالية: إلى أي مدى ساهمت أوضاع الحياة السياسية المصرية في تحديد طبيعة العلاقة بين جمال عبد الناصر وجماعة الإخوان المسلمين؟

لانجاز هذا البحث الأكاديمي العلمي واجهنا عدة صعوبات منها :

✓ عمل بحث أكاديمي لا يخلو من مصاعب ونقص أمام الباحثين لأن هذه الصعوبات ثم تجاوزها يفصل الأستاذ من خلال توجيهاته ونصائحه ولعل من أبرزها:

✓ كثرة الدراسات والأبحاث العلمية حول نظرية السياسية الميكافيلية وصعوبة الانتقاء من هذه الدراسات فاجتهدنا على قراءة كتبه التي تحمل جل أفكاره بصعوبة كبيرة جدا محاولين

✓ استخراج بعض أفكاره وفهمها بطريقة بسيطة وسطحية .

كما اعتمدنا على خطة مقسمة إلى مقدمة وثلاث فصول وخاتمة عامة فالمقدمة كانت عبارة عن تعريف للموضوع بصفة عامة فتطرقنا في الفصل الأول الذي عنوناه بأخلاق



القوة عند مكيافيلي الذي يحتوي على مبحثين: الأول الذي عنوانه السيرة الذاتية لمكيافيلي.

وأما المبحث الثاني عنوانه بالجذور التاريخية للأخلاق وعلاقتها بالسياسة قبل مكيافيلي.

أما الفصل الثاني الذي يحمل معنونا مكيافيلي ومحاولة رسم معالم الفكر السياسي، واشتمل هذا الفصل على مبحثين الأول ضرورة الفصل بين الأخلاق والسياسة وأما المبحث الثاني فصورة لفصل الدين عن السياسة.

كما سنعرض في الفصل الثالث الذي عنوانه تأثيرات فكر مكيافيلي، إذ يحتوي على مبحثين الأول تحت عنوان الدكتاتورية الغربية الحديثة والمبحث الثاني بعنوان الدكتاتورية العربية، والمبحث الثالث بعنوان استشرافات لأفكار ميكيافيلي.

وفي الأخير نحمد الله الكريم على توفيقه لنا بفضلته سبحانه وتعالى لإعانتته علينا بإتمام وإنجاز هذا البحث الذي هو بين أيدينا .

كما نتقدم بجزيل الشكر وتقدير والعرفان لفضيلة الدكتور "سي البشير محمد" الذي تفضل أن يكون مشرفا على هذا البحث ومتابعته له خطوة خطوة منذ اختيار موضوع المذكرة التخرج حتى أصبح البحث ثمرة وهذا كله بفضل جهده ونصائحه وتوجيهه رغم مشاغله المتراكمة ومنحنا من وقته الثمين وملاحظاته صغيرة أو كبيرة كانت. كما نتقدم بالشكر الجزيل لكل أساتذة كلية العلوم الإنسانية، وأخص بالذكر أساتذة الفلسفة السياسية على كل ما قدموه لنا من توجيهات ونصائح.

والشكر الموصول أيضا إلى أعضاء اللجنة المناقشة الذين تحملوا عناء قراءة هذا البحث المتواضع، وسيثرونه إن شاء الله بنصائحهم القومية و توجيهاتهم السديدة.



ونرجو أن نكون قد أسهمنا لو بقليل في ترك أثر وبصمة ولو عارضة في مجال الفكر السياسي وعليه فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن النفس والشيطان والسلام.



الفصل الأول: أخلاق القوة عند ميكيا فيلي

تمهيد:

اهتمت الفلسفة بالإنسان منذ القديم بمحاولة النظر في تحسين أوضاعه إلى ما هو أفضل.

هذا الاهتمام يأتي من جانب علاقة الأفراد مع بعضهم البعض من جهة ومن جانب علاقة الحاكم بالمحكومين من جهة أخرى، ونجد في تاريخ البشر نماذج كثيرة بدءاً بالمرحلة اليونانية إلى عصرنا الذي يقدم واقعنا فيه إشكاليات تتطلب التأمل من جديد وخصوصاً أن مبدأ القوة والأخلاق يشكلان عاملين مهمين في المعاملات بين بني البشر، هذا الواقع دفعنا إلى الإصلاح على بعض محاولات الفلاسفة والمفكرين من أزمة سابقة للبحث، ولعل من بين هذه النماذج نجد الفيلسوف ميكيا فيلي كنموذج في الفكر السياسي الغربي المسيحي للدراسة.

ومن هنا نطرح الإشكال:

من هو نيكولا ميكيا فيلي؟ وما هي أهم الإرهاسات الفكرية له؟

وعلى أي أساس كانت علاقة الأخلاق بالسياسة قبل ميكيا فيلي؟

المبحث الأول: السيرة الذاتية لمكيافيلي.

أ- مولده ونشأته:

ولد نيكولا ميكيافيلي **NICOLAS.MICHIARELLI** "1527-1469" بمدينة فلورانس⁽¹⁾ بإيطاليا رغم أن مدينة فلورانس كانت آنذاك من أكبر مراكز الثقافة في أوروبا في عصر النهضة إلا أن ظروفها السياسية كانت مضطربة "شأنها شأن الإمارات الإيطالية حيث الفساد السياسي والانحطاط الخلقى"⁽²⁾، أبوه محاميا بارزا في فلورنسا وينتمي إلى طبقة البرجوازيين⁽³⁾، اعتلى ميكيافيلي منصب وزير الدولة ودبلوماسية في حكومة البندقية،⁽⁴⁾ مارس مهام سياسية بصورة خاصة كسكرتير في وزارة الخارجية منذ عام 1497 "الأمين العام لمجلس العشرة المكلف بالسلام والحرية"، ومكنه هذا المنصب من القيام بعدة رحلات وتعرف على الشخصيات الدبلوماسية الأجنبية وإدراك أهمية القوة السياسية لهذه الدول خاصة دول الجوار مثل فرنسا وإسبانيا وبريطانيا، الأمر الذي أحزنه أن هذه الدول بلغت شوطا كبيرا في القوة والعظمة والحضارة مقارنة بإيطاليا التي لازالت تحت وطأة الصراعات الداخلية وهشاشة نظامها وفقدانها لحكومة مركزية قوية تجابه بها الأعداء، بل كانت في مركز ضعف و قبلة للأطماع الخارجية والداخلية، فروما فقدت مجدها العظيم ولن تسترده ما لم تعمل للإلتحاق بركب الدول المتقدمة، حيث تتحى ميكيافيلي عن الحياة العامة من جراء عودة آل ميديشي إلى الحكم عام 1512 ومع ذلك أهدى إلى إحدى العائلات الحاكمة والتي ذكر اسمها كتابه المشهور "الأمير" المكتوب عام 1513م حتى يرضى عليه.

01 - نور الدين حاروش، تاريخ الفكر السياسي، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م، ط2، ص276.

02 - عادل ثابت، الفكر السياسي الإسلامي، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2002م، د.ط، ص149.

03- برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، تر: محمد فتحي الشنيطي، المكتبة المصرية للكتاب، 1988 م، ط3، ص 25.

04- موريس فرادوارد، أعلام الفكر السياسي، دار الصداقة بيروت، لبنان، 2008م، ط1، ص64

إلا أنه خاب أمله من جديد، كما طلب منه أن يألّف كتابا لإصلاح دولة فلورنسا في سنة 1519م، لكن لم يؤخذ بنصائحه ليصبح ميكيا فيلي مجرد مؤرخ رسمي حتى بلغ الثمانين من العمر، لتتوفاه المنية سنة 1527 م.⁽¹⁾

فقد وصف ميكيا فيلي حياته في رسالة إلى صديقه فيتوري والذي قال فيها: "...استيقظ مبكرا عند الفجر وأمضي إلى الغابة الصغيرة، لأرى ما قام به الحطابون من عمل" ، حيث يحكي ما مر في يومه من خلال حديثه مع الحطابين، وكيفية تمضية يومه وحيدا إلى أحد التلال، حيث يقرأ دانتي أو شيراك أو تيبولوس أو أوفيد، فبعد تناول غذاءه البسيط يتحدث عن كيفية تمضية وقته ما بين حانة ولعب الورق والنرد بقوله: "تتقاتل على الدريهمات. وعندما يحل المساء أعود إلى البيت، وأدخل المكتبة، بعد أن أنزع عني ملابس الريفية التي غطتها الوحول، ثم أرتدي ملابس البلاط والتشريحات وأبدو في صورة أنيقة، وأدخل إلى المكتبة، لأكون في صحبة هؤلاء الرجال الذين يملأون كتبها، فيقابلونني بالترحاب، وأتغذى على ذلك الغذاء، الذي هو في الحقيقة ما أعيش عليه، والذي جعل مني الإنسان، الذي هو في الحقيقة ما أعيش عليه، والذي جعل مني الإنسان، الذي هو أنا. وفي وسعي أن أتحدث إليهم وأن أوجه إليهم الأسئلة عن أسباب أعمالهم، فيتأطفون علي بالإجابة. إنني لم أعد أخشى الموت أو العوز... وقد تمكنت بالملاحظات التي دونتها من أن أضع كتابا صغيرا أسميته (الأمير)."⁽²⁾

وهنا نجد أن ميكيا فيلي قد وصف حياته في رسالة إلى صديقه فيتوري والذي وضح فيها كيفية تمضية يومه من طلوع الشمس وهو في الغابة مرور وصف غذاءه وغذاؤه

01 - نور الدين حاروش، المرجع نفسه، ص276، 277.

02 - نيقولا ميكيا فيلي، الأمير "تراث الفكر السياسي قبل الأمير وبعده"، تر: خيرى حماد، الأهلية للنشر والتوزيع، 2008م، ط1، ص18.

وكيفية تمضية وقته ما بين حانة ولعب ورق ومكتبة، وعليه فهو في آخر اليوم يدون ملاحظات مكنته من صنع كتاب أسماه بالأمير.

ب- أهم مؤلفاته و منهجه

1- مؤلفاته:

إن الظروف العسيرة والجو السياسي المصحوب بالتناقضات والصراع الذي عاشه ميكيا فيلي جعله يكتسب خبرة سياسية كبيرة وهامة، وكان لا بد له من ترك آثارها لتستفيد منه الأجيال اللاحقة وبأخذوها، فمن بين هاته الآثار التي تركها فيلسوفنا نجد:

أولاً- **كتاب الأمير**: شرع فيه عام 1513 وانتهى من تأليفه من نفس السنة باستثناء بعض التعديلات التي أدخلها عليه بعد وفات "غويليا نودي ميدتش" في عام 1516 فوضع اسم **الوزير بدلا من غويليا**، ومن الأسباب التي أدت إلى كتابة "**الأمير**" هي الكارثة التي حلت به عندما نفي إلى الريف وعاش فيها ظروف عسيرة وصعبة استطاع فيها أن ينتهي من كتابة مؤلفه المشهور "**الأمير**" الذي يضم جميع أفكاره السياسية، إذ اقتصر على البحث عن مشاكل إيطاليا والحديث عن تخلفها في التنظيم السياسي والقوى العسكرية، وكذلك تحدث عن الدول المجاورة لها كاسبانيا وفرنسا، ولقد كان هذا الحديث مرجعا للأمرء أمثال أسرة "مديشي" الذي ظهر إسمهم في الإهداء.⁽¹⁾

مع العلم أن هذا الكتاب تم طباعته إلى عشرين مرة خلال عشرين عاما نظرا لأهمية محتواه، إذ يعرف أن كل من يريد أن يتحلى بالصفات ذات الأسلوب الراقى والنظرة المتعالية الداعية إلى التحكم والسلطة.

01 - نيكولا ميكيا فيلي، الأمير، تر أكرم مؤمن، مكتبة ابن سينا للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 2004م، د. ط، ص 11.

ثانياً - كتاب المطارحات: وسمي أيضاً كتاب الأحاديث عن العشرة الكتب الأولى للبعي، شرع فيه 1513م وانتهى منه عام 1517، وقد أهدى هذه الأحاديث إلى "وسانوبي يوند بلمتى وكوزمورتشيلي" وقال: أبعث إليك أعظم هدية أقدمها لك لأنها تشمل على كل ما تعلمته بالتجربة الطويلة المستمرة وهذا أيضاً كتبه في منفاه، إذ يشير فيه إلى أدب القدماء وقوانينهم وطباعهم التي تميز بها المحدثون في كتاباتهم وأعمالهم، ويقترح مبادئ الحكمة القديمة التي يمكن إضافتها إلى السياسة المعاصرة، ويختار من التاريخ حوادث تؤيد النتائج التي فادته إليها تجاربه ويأخذ أمثله "نيتوس ليفي مؤرخ روماني" خاصة من كتبه العشرة الأولى التي تتحدث عن روما منذ نشأتها 753 ق م، 293 ق م .

حيث قسم ميكافيلي كتاب المطارحات إلى ثلاثة أقسام هي:

1) **القسم الأول**: يتحدث فيه عن الوقائع التي يرى بأنها جديرة بالتعليق بالنسبة إلى خصائصها العامة.

2) **القسم الثاني**: بعد تحدثه عن الوقائع التي يرى بأنها جديرة بالتعليق وحديثه عن القرارات التي اتخذها الرومان في شؤونهم الداخلية، ثم انتقل للحديث عن الإجراءات التي اتبعها الشعب الروماني لتوسيع إمبراطوريتها.

3) **القسم الثالث**: يتحدث في هذا القسم عما أسهمت به بعض أعمال الرجال في عظمة روما وما حققته من نتائج نافعة. (1)

بين ميكافيلي في هذا الكتاب أدب القدماء وقوانينهم وطباعهم مبينا ذلك في ثلاثة أقسام، كل قسم يوضح خاصية مميزة لشعب روما.

01- نيقولا ميكافيلي، المطارحات، تعريب: خيرى حماد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1982م، ط3، ص ص 76-77.

ثالثا: رسالة في فن الحرب: بدأ في كتابته عام 1518 أعلن فيه عن دول وقوات شرائع السلطة العسكرية فقال: "إن الأمة التي تفقد الفضائل العسكرية أمة هالكة لا محال، والجيش لا يحتاج إلى الذهب، والذهب ينساب إلى الأمة القوية.

ولهذا أشار في كتابه هذا إلى محادثات جرت له في عام 1516 وأكمل كتابه هذا عام 1520م، ولقد طبع في فلورنسا عام 1520 م وأهداه إلى "لورنزو" الابن الأعظم لبيرو دي مديشي.

رابعا: كتاب تاريخ فلورنسا: ولقد بدأ عام 1520م بطلب من أكاديمية فلورنسا والتي كانت تحت رعاية الكاردينال ميديشي، ويعرض تاريخ فلورنسا منذ أقدم العصور حتى وفاة "لورنزو دي فيليبي ستروزي" عام 1492م، ويقع في ثمانية مجلدات بحيث يعرض في هذا الكتاب المصاعب التي مرت بها فلورنسا، وعندما أكمل ميكافيلي كتابه كان الكاردينال دي مديشي قد غدا البابا كليمنت السابع، فذهب المؤلف بنفسه إلى روما ليقدمه إلى راعيه وقد طبعه أنطونيو بلادو في عام 1532م وقد ترجمه إلى الإنجليزية نيتان هيل طومسون في عام 1906م.⁽¹⁾

خطاب العقد الأول: ألفه عام 1519م ولكنه لم ينشره، وأحاديث عن كتب نيتوس ليفيوس العشرة الأولى ألفه عام 1513م، حيث نجد أن ميكافيلي قد كتب وألف أعمال أدبية، مفن بينها نجد: جذور تفاح الجن الذي ألفه عام 1518 وقد ظهرت أول طبعات هذا الكتاب عام 1519م.⁽²⁾

وعليه نستنتج أن ميكافيلي قدم مجموعة من الكتب التي تقدم الزخم المعلوماتي الناتج عن الضغط السياسي الذي عاشت فيه بلاده روما.

01- نيقولا ميكافيلي، المطارحات، تعريب: خيرى حماد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1982م، ط3، ص 79.

03 - نيكولا ميكافيلي، الأمير، تر أكرم مؤمن، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2004م، د.ط، ص 16.

02- منهج مكيافيلي:

لقد انتهج مكيافيلي منهج مغاير ومختلف عن المناهج التي اتبعها الفلاسفة الذين كان من قبله معتمدا على المنهج الإختباري الصرف القائم على ملاحظة الواقع بهدف تقديم صورة للواقع كما هو دون تفسير أو تعميم، حيث كل ما قام به هو تقديم مجموعة من العمل السياسي المصورة للواقع دون تدخل من جانبه بالتفسير أو التعميم للنتائج وبهذا يعتبر رائدا لفن السياسة لا علم السياسة.

فمنهجه هذا يقوم على:

- 1) البحث التاريخي العميق في جلائل الأعمال التي اختطها عظماء التاريخ سعيا لبلوغ خلاصات ونتائج يمكن الاستفادة منها في التجربة السياسية المباشرة.
 - 2) التركيز على اللغة المباشرة الخالية من المحسنات والجمال الطويلة المتداخلة ، فهي محاولة لبلوغ الحقيقة ، بأيسر السبل وأسهلها، من دون تركيب أو تعقيد.
 - 3) الاعتراف الصريح بأن الكتاب يشتمل على نصائح مقدمة إلى الأمراء، ومن هذا لم يرغب عليه الإلفات بأن هذا الأمر ليس من باب الغرور ، بقدر ما يقوم على الولاء وتقديم الخبرة والمعرفة.
 - 4) الربط الصارم في العلاقة القائمة بين الأمير والرعية، فالسياسة لا يمكن لها أن تتبلور السمات الرئيسية فيها ما لم تقم على حالة التفاعل بين الطرفين.(1)
- اعتماد مكيافيلي على المنهج الإختباري أمر جعله يفسر الواقع السياسي المعاش في تلك الفترة من دون تفسير وتعميم.

01 - إسماعيل نوري الربيعي، دفاتر السياسة والقانون، الجامعة الأهلية ، البحرين، جانفي 2013 م، العدد الثامن، ص 156-157.

ج- الخلفية التاريخية:

تميز عصر مكيافيلي بتحوّلات كبرى في بنية المجتمع الأوربي على كافة المستويات عن الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية والثقافية بصفح عامة، إيطاليا بصفة خاصة.

إن الظروف التي عرفت أوريا جعلتها تتعرض لتحوّلات هامة خاصة بإيطاليا التي كانت تعرف وضعا سياسيا صعبا جدا، بحيث كانت في أغلب الأحيان متحررة من التدخل الأجنبي بعد وفاة "فريديريك الثاني" إلى غاية عزل الملك الفرنسي شارل الثامن.

لقد كانت إيطاليا في ذلك الوقت مقسمة إلى خمسة دول أو أقاليم هي: مملكة نابولي في الجنوب، قبة ميلان في الشمال الغربي، جمهورية ميلان في الشمال الغربي، جمهورية فلورنسا، الدولة البابوية في الوسط.⁽¹⁾

إضافة إلى هذه الدول يوجد إمارات صغيرة كانت متفاوتة فيما بينها في تحالفها وخضوعها لدولة من الدول الكبرى، فقد كانت إيطاليا في ظل هذه الأوضاع تعاني من وطأة الحكم الإقطاعي وواقع التجزئة للدويلات.⁽²⁾

كانت إيطاليا تفتقر إلى حكومة مركزية قوية شبيهة بتلك الموجودة عند دول الجوار، وزيادة على هذا فقد عمت الفوضى والفساد الأخلاقي والاجتماعي والسياسي مما أدى إلى نشوب الحروب الأهلية التي كانت تتدلع من حين لآخر بين هذه الدويلات.⁽³⁾

01 - نور الدين حاروش ، المرجع نفسه، ص 279.

02 - برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، تر: محمد فتحي الشنيطي ، المكتبة المصرية للكتاب، 1988 م، ط3، ص 12

03- نور الدين حاروش ، المرجع نفسه ، ص 279.

ففي منتصف القرن الخامس تعرضت أوروبا إلى تحولات هامة، فقد سيطر الأتراك العثمانيون على القسطنطينية وأنهو إمبراطورية روما الشرقية فبدأت الثقافة اليونانية تتدفق على أوروبا.⁽¹⁾

في منتصف أواخر القرن الخامس عشر، وفي عام 1492 اكتشف "كريستوف كولومبس" قارة أمريكا وسقطت غرناطة في يد الأسبان، في أوائل القرن السادس عشر قامت ثورة الإصلاح الديني في ألمانيا مع مارتن لوثر.⁽²⁾

كما كانت الحالة في ميلان بالنسبة إلى عائلة سفوزا، وبين العم وابن أخيه في فيرمو وبين عائلة باجليوني في بيروجيا التي انتهت بسيطرة جيوفاني باولو على المدينة بعد أن قتل جميع أفراد أسرته.

اشتد المشاحنات في المقاطعات البابوية بين الأوسيني وأفراد أسرة كولون، مما أدى إلى قيام تهديد للمملكة وللبابوية، ولم تنجح معه وسائل العنف التي لجأ إليها الباباوات من أمثال الإسكندر السادس ويوليوس الثاني ضد نبلاء روما وأشرفها، فقد كانت نابولي منقسمة على نفسها بين النبلاء و الموالين لأسرة أرغوان الإسبانية وبين النبلاء المخلصين لأسرة أنجو الفرنسية، وكانت الجمهوريات كلها باستثناء البندقية في وضع سياسي صعب وسيء للغاية.

وكان أنصار فلورنسا يعملون ليلا ونهارا لإعادة أسرة آل مديشي إلى الحكم، وقد اكتشفت مؤامرات عدة كان آخرها تلك الثورة الإلهية التي تدخلت فيها اسبانيا في عام 1512 والتي أعادت آل مديشي إلى الحكم.⁽³⁾

01- برتراند راسل، المرجع نفسه، ص13.

02 - برتراند راسل، المرجع نفسه، ص 21.

03 - نيكولا ميكافيلي، مطارحات، تعريب خيرى حماد، دار الآفاق الجديد، بيروت، 1982، ط3، ص42.

وعليه كان وضع إيطاليا محزنا في القرن الرابع عشر والخامس عشر وهذا يعود إلى عاملين أساسيين: أولهما تجزئتها إلى عدد من الدول وثانيهما انحطاط الانضباط العسكري، ويعد هذا كله إلى الكنيسة المسيحية، وذلك لأن إيطاليا لم تتوحد وبقيت مجزأة. ولكن في الوقت نفسه لبثت إيطاليا على نحو من الضعف الذي تعجز فيه عن مقاومة أي أمير إيطالي آخر قد يقوم بمحاولة التوحيد لأنها كانت تستشير الدول الأجنبية عليها إذا حاول القيام بهذا التوحيد الذي كان لابد منه، إذ يعود هذا الانقسام حسب ميكافيلي إلى جبن إهمال التدريب العسكري وفقدان النظام.⁽¹⁾

إن هذه الأوضاع جعلت ميكافيلي يقول بضرورة توحيد إيطاليا لأن تقسيمها يشكل خطرا عليها، ففي وسط هذه الأوضاع الصعبة وسط الحروب والشحنات السياسية ترعرع ميكافيلي وحاول إصلاح كل الأوضاع السياسية لإيطاليا وكان أمله هو توحيد إيطاليا وعودة النظام الجمهوري إلى المدينة التي ولد فيها، وقد حقق هذا الأمل في "السابع عشر من ماي" فرياسيريني والصبيان آل مديشيان من المدينة، وأعلن قيام الجمهورية ودعي مجلس الثمانين إلى الإنعقاد وأصبح نيقولو كايوني رئيسا لمجلس السيادة، كما انتخب مجلس الثمانية ومجلس جديد من عشرة أشخاص لإدارة دفة الرب، ولكن على الرغم من كل ما عمله ميكافيلي بتحسين المدينة وإعدادها إلا أنه لم يستطع أن يصبح مستشارا أو وزيرا، ولم يعرض عليه أي منصب جديد وذلك لأنه كان قد عمل مبعوثا لباسيريني الكريه إلى قلوب الناس، وبعد عشرة أيام سقط ميكافيلي مريضا، واعترف بذنوبه للراهب ماثيو، ثم لفظ نفسه الأخيرة بسلام واطمئنان في الثاني والعشرون من حزيران عام 1527 في فلورانس إلى جانب زوجته وأطفاله ونفر من أصدقائه.⁽²⁾

01 - نيكولا ميكافيلي، المصدر نفسه، ص44.

02 - نيكولا ميكافيلي، المصدر نفسه، ص75-76.

المبحث الثاني: الجذور التاريخية للأخلاق وعلاقتها بالسياسة عبر العصور

أ: العصر اليوناني عند "سقراط - أفلاطون - أرسطو"

يعتبر اليونانيون القدماء أول من وظفوا قواعد علم الأخلاق على أساس (علمي) فلسفي، من بينهم الفيلسوف سقراط (469-399 ق م) الذي تفتحت معه المرحلة الفلسفية اليونانية الكلاسيكية باعتباره مؤسس فلسفة الأخلاق المستقلة. (1)

— اتجه سقراط SOCRATE في محاولة جادة إلى إحياء المعاملات بين الناس على أساس علمي، وكان يثير إلى أنها لا تكون صحيحة إلا إذا كانت مبنية على العلم، فهو يرى أن الفضيلة هي العلم وأن الرذيلة هي الجهل، (2) وبهذا الصدد يقول أيضا: "ما من أحد يفضل الخطأ أو الشر بإرادته". (3)

تشكل الأخلاق دور العامل الحاسم في صلاح الفرد والجماعة وتقدم الأمم والشعوب، وذلك إذ كانت الأخلاق قائمة على معايير سليمة و إلا ستكون عاملا رسميا في فساد الفرد والجماعة، ولهذا نجد أن فلاسفة العصر اليوناني قد اهتموا بشكل كبير جدا بالأخلاق لما لها من دور في بناء الدولة وتحقيق السعادة، لهذا نجد أن كل من أفلاطون وأرسطو قد أكملوا ما بدأه سقراط في مواصلة مشواره الذي لم يكمله، وبهذا الصدد تم عرض فلسفة الأخلاق من قبلهما خاصة عند أفلاطون.

01 - أكسل فاييس، أطلس الفلسفة، تر: جورج كتورة، المكتبة الشرقية علي مولا ، 1999م، ط1 ، ص28.

02- محمد مهران رشوان، تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، دار قباءه ، 1998 م، د.ط، ص31.

03- أكسل فاييس، المرجع نفسه ، ص29.

— أفلاطون PLATON يعتبر من أنبغ توابع الفكر باعتباره يوناني وأحد تلامذة سقراط، من مواليد "427-347 ق م" تأثر بأفكار سقراط وتأثر بإعدامه الظالم، كانت حياته مليئة بالأحداث. (1)

يعد أفلاطون من بين الفلاسفة الذين كان لهم دور كبير في ذلك العصر، إذ امتزجت فلسفته السياسية بين الواقعية والمثالية من خلال مؤلفاته ومحاوراته التي رسم بها الطريق إلى الدولة المثالية التي تحقق السعادة لسكانها وتحقق العدالة الاجتماعية، وهذا يهدف إلى تجاوز الوضع المزري الذي عرفته اليونان بصفة عامة وأثينا بصفة خاصة، ولهذا يرى أن الفرد العادل والفاضل لا يمكن أن يعيش إلا في دولة عادلة قائمة على الأخلاق. (2)

وبهذا الشأن يرى أفلاطون أنه يمكن أن تتأسس دولته المثالية من خلال إتباع أفكاره وآرائه السياسية التي رسمها بخطوط بارزة في كتابه "الجمهورية" والتي تظهر أن الفضيلة هي المعرفة، وقام بتقسيم العمل والتربية والتعليم ونظم الحكم، فقد انطلق أفلاطون في بناء دولته المثالية من نظرية النفس التي قسم فيها النفس الإنسانية حسب شرائح المجتمع إلى ثلاثة طبقات، حيث قابل طبقة الحكام بالنفس الناطقة، وطبقة الكتلة العسكرية بالنفس الغاضبة، وطبقة العمال بالنفس الشهوانية (3).

01 - أحمد فؤاد الأهواني، نوابغ الفكر الغربي أفلاطون، دار المعارف، القاهرة، 1999 م، ط1، ص 07.

02 - مولود زايد الطيب، علم الاجتماع السياسي، دار الكتب بنغازي، ليبيا، 2007 م، ط1، ص 35.

03 - أكسل فاييس، المرجع نفسه، ص 43 .

و هنا تلعب تقسيماته الثنائية التي تشكل بصفة خاصة العقل الذي ينتمي إلى عالم الإدراك، فالجزء النبيل يمثل الشجاعة، والجزء الأدنى يمثل الشهوة وعليه ظهرت الطبقات التي تم ذكرها. (1)

يتضح لنا من خلال كل هذا أن الفلسفة الأخلاقية قد تكونت وأصبحت أساس ثابت للحضارة اليونانية، ولهذا نجد أن أفلاطون قد أكمل ما بدأه سقراط، فلم تعد الأخلاق مجرد مجموعة من الأخلاق بالسياسة، إذ لم يعد وجود الواحد منهما لولا الآخر. (2)

بمعنى أن الغرض والغاية من الأخلاق هو تحقيق السعادة والعدالة الاجتماعية، والخير الأقصى لبناء الدولة، ففي هذا الصدد يقول: "بأن الإستبداد كنظام سياسي يتوقف على استعداد داخلي في النفوس، فهناك نفس مشيدة وهناك تلك التي لا تشعر بوطأة الضمير الأخلاقي، فترخي العنان لعدد كبير من الغرائز المضطربة التي تتشاجر فيما بينها ولا يمكن السيطرة عليها إلا بطريق العنف" (3)، بمعنى أن النظام السياسي الفاسد والغير العادل هو راجع إلى النفس المستبدة التي تكون هي الحاكمة في النظام السياسي، وعلى هذا فإن العدالة الاجتماعية حسب أفلاطون هي ليست قانونية إنما هي تنتمي إلى مجال الأخلاق الاجتماعية.

01 - نور الدين حاروش ، المرجع نفسه، ص185.

02- عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلاسفة، د.د.ن، بيروت، 1974، م، ج2، ط1، ص191.

03 - إيميل بريبييه، اتجاهات الفلسفة المعاصرة، تر: محمد قاسم، دار الكشف، د.س.ن، د.ط، ص78 .

— كما نجد أن الفيلسوف اليوناني أرسطو ARISTOTE (384-322 ق م) أحد تلامذة أفلاطون، أسس منهجا سماه أتباعه بالمشائية على اعتبار أن أرسطو كان يعلم وهو يمشي، تاركا وراءه كتباً من أشهرها: كتابه ما وراء الطبيعة، إضافة إلى كتب الأخلاقيات وكتب السياسات وغيرها من الكتب، حيث أثر في حياة المجتمع من الناحية الأدبية والأخلاقية تأثيراً بالغاً،⁽¹⁾ إذ تظهر فلسفته الأخلاقية في أن الوحدة الأساسية في الدولة هي الأسرة وليس الفرد كما فعل أفلاطون.

انطلق أرسطو من فكرته التي تشكل جوهر فكره السياسي فيقول: "الإنسان بالطبع حيوان سياسي أي أنه مدني أو اجتماعي بالطبع.. بمعنى أن الإنسان لا يستطيع العيش بمعزل عن غيره، فهو بحاجة ماسة إلى الغير حتى يحقق مستلزماته الضرورية (مأكل، مشرب، مسكن)، فهذه الحاجة تجعل الفرد متشوق إلى الاجتماع مع بني جنسه، وهذا الدافع يجعله يسعى إلى تحقيق التكامل فيما بينهم لتبادل المنافع والمصالح فتتحقق السعادة للمجتمع والفرد معاً، فالسعادة في نظر أرسطو هي الغاية لبناء الدولة، لهذا يتصور أرسطو الأخلاق على أنها علم عملي⁽²⁾ تهدف إلى تحقيق الغاية من خلال التجارب الإنسانية، بل تجعل الفضائل الأخلاقية هي الغاية لتحقيق الجزء الأقصى وهذا يحدد مضمون الفضائل الأخلاقية باعتبارها وسط بين حدين خاطئين⁽³⁾ على سبيل المثال الشجاعة وسط بين التهور والجبن ويقصد هنا أرسطو الاعتدال في الوسطية.

وعليه يتضح لنا أن علم الأخلاق يبحث عن الخير الأقصى الخاص بالإنسان، لذا كان جزءاً من العلم المدني أو السياسة التي تبحث عن الخير الذي يضمن السعادة للأفراد، وهنا يظهر لنا الترابط الوثيق بين الأخلاق والسياسة عند أرسطو.

01 - عبد الرحمن بدوي، المرجع نفسه، ص 125.

02 - مصطفى عبده، فلسفة الأخلاق، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999م، ط 2، ص 55.

03 - محمد الجبر، الفكر الفلسفي الأخلاقي عند اليونان، دمشق، 1994م، ط 1، ص 79.

ب- العصر الوسيط: القديس أوغسطين

تميز هذا العصر بانتشار الديانة المسيحية كعقيدة قوية قادرة على توحيد صفوف الأمة المسيحية، وظهرت شخصية القديس أوغسطين SAINT-AUGUSTIN (354 م-430م)، ولد بمنطقة طاغست "سوق أهراس حاليا وهي ولاية جزائرية" والتي كانت خاضعة للإمبراطورية الرومانية، وعندما انتشرت الديانة المسيحية في أرجاء الإمبراطورية الرومانية في القرن الرابع ميلادي، وهذا بعد فترة شباب مضطربة، حيث اعتنق المسيحية بميلانو التي سافر إليها ودرس بها الفلسفة الدينية، حيث تتلمذ على يد القديس أمبروز "أسقف ميلانو الكبير، فأوغسطين فيلسوف تأثر بالأفلاطونية الجديدة ولم يكن في واقع الأمر سياسيا.

يعتبر أوغسطين أول كاتب يعالج المجتمع المدني بصورة شاملة في ضوء المواقف الجديدة التي أوجدت ظهور الدين وهذا يظهر من خلال مؤلفاته: الحياة السعيدة، خلود النفس، مدينة الله، فكل هذه الكتب يغلب عليها الطابع الديني.⁽¹⁾ يظهر الفكر السياسي لأوغسطين من خلال كتابه مدينة الله التي يدافع فيه عن المسيحية، حيث يرى أن مدينة الله تبني نفسها بالتدريج بقدر ما يستمر العالم أو يدوم، وهذا العالم نفسه لا مبرر لدوامه باستمراره إلا بقدر ما ينتظر تحقيق غايته النهائية.

01 - نور الدين حاروش ، المرجع نفسه ، ص 150.

حيث قسم الحياة الإنسانية إلى نوعين: محبة الذات لحد احتقار الله، ومحبة الله لحد احتقار الذات،⁽¹⁾ حيث يرى من خلال هذه المحبتين نشأة مدينتين: المدينة الأرضية وهي شريرة ناقصة أما المدينة الثانية والتي تسمى بالمدينة السماوية والتي سماها أيضا أوغسطين بالمدينة الغامضة التي لا يمكن أن ترى، حيث يرى أن البشر هم الأحجار والله هو المهندس المعماري، فهي بالنسبة له مدينة خيرة وإيجابية وكاملة وبينهما حرب حتى نهاية العالم ويفصل بينهما المسيح عليه السلام، فمصير المدينة الشريرة النار بينما تتم مدينة الله الخيرة بالسعادة الأبدية.⁽²⁾

فلتحقيق هذه السعادة وجب وجود رادع يحد من هذا الصراع وهو الدولة التي يؤكد أوغسطين على أن تكون مسيحية تخدم مجتمعا تربطه العقيدة المسيحية المشتركة، ويترجم هذا المجتمع بفضل هذه العقيدة إلى حياة تسمو فيها العناية بالروح على أي عناية أخرى.⁽³⁾

فالقديس أوغسطين يرى أن مصلحة الدولة تظهر في التعليم من خلال تعليم الواجبات الاجتماعية والروحية في نفس الوقت لاعتبار الواجبات الاجتماعية وليدة التعاليم الإلهية،⁽⁴⁾ وهذا وفقا للقانون الوضعي الذي يعد أساس الحياة الاجتماعية والذي يضعه الناس من عندهم ولا يكون مناقضا مع القانون الإلهي، فهو ضروري نتيجة اختلال الإنسان وخطأه منذ أن عصى آدم ربه.⁽⁵⁾

01 - إيتين جلسون، الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 2009م، ط3، ص487

02 - نور الدين حاروش، المرجع نفسه، ص151.

03 - نور الدين حاروش، المرجع نفسه، ص153

04 - محمد عرب صافيل، تاريخ الفكر السياسي، بيروت، 2006 م، ط5، ص150.

05 - نور الدين حاروش، المرجع نفسه، ص155.

فقد بين أوغسطين بأن العدالة لن تكون إلا مع الأمم المسيحية وهذا لأنه يؤمن بأن الدولة غير المسيحية عاجزة عن تطبيق العدالة وعن إقامتها، فهو يرى بأنه من المغالطة أن تكون أي دولة غير مسيحية قادرة على إعطاء كل ذي حق حقه، كما أن الدولة الحقّة هي التي تقوم فيها على العقائد وعلى أساس من التعليم، والتي تحافظ على سلامة هذه العقائد، فالدولة لا ترتقي إلى دولة كاملة ما لم تكن مسيحية ولها صلة بالكنيسة العادلة، فهي القادرة على إحقاق الحق وإقامة العدالة وهذا يكون بربط القيمة الأخلاقية بالفعل الإرادي بوصفه الجزء الأساسي، فقد وجد المسيحيون أن روح الرجل العادل جميلة وجديرة بالتقدير لأنها فاضلة على حد تعبير القديس أوغسطين: "إن ما هو جميل وما هو خير يستحق الثناء و المديح".⁽¹⁾

فالقديس أوغسطين بين أن المسيحية هي الأساس لقيام دولة كاملة، على اعتبار المسيحية باب لإقامة العدالة، فهذه القيمة الخلقية تمكن الدولة من الارتقاء والوصول إلى أعلى المراتب.

01 - إيتين جلسون، الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 2009م، ط3، ص420.

ج: عصر المسلمين العرب "الفارابي"

يتناول هذا العصر مختلف الشخصيات البارزة التي كان لها دور فعال في التأثير على أفكار الفرد، والذي من بينهم نجد:

محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان الذي عرف باسم أبي نصر الفارابي أو الاسم المختصر الفارابي FARABI نسبة إلى مدن "فاراب"، ولد عام 259هـ، الموافق ل870م في بلدة وسيج وأدركه أجله في سنة 983م ودفن بدمشق،⁽¹⁾ وهو الملقب بالمعلم الثاني في مقابل أرسطو طاليس الملقب بالمعلم الأول⁽²⁾، والفارابي كغيره من المفكرين ألف العديد من الكتب التي تركها، فقد اشتملت على شروح مؤلفات أرسطو ككتاب "المنطق" وكتاب ما بعد الطبيعة.

كما نجده قد حلل محاورات أفلاطون وغيرها من المصنفات التي نذكر منها كتاب "رأي الحكيمين"، أما فيما يخص أعماله التي أدرجها الدارسون تحت اسم "فلسفة الفارابي السياسية" نذكر منها كتاب "أهل المدينة الفاضلة"، وكتاب "السياسات"، وكتاب "تحصيل السعادة" وغيرها من الكتب التي اشتملت على أفكاره السياسية والأخلاقية.⁽³⁾

01- فاروق سعد، مع الفارابي المدن الفاضلة ومضاداتها لأبي نصر الفارابي، دار الشرق ببيروت، 1402هـ/1982م، ط1، ص ص13-14.

02- أبو نصر الفارابي، الجمع بين الرأي الحكيمين، بيروت-لبنان، 1972 م، ط2، ص82.

03- هنري كوريان مع آخرون، تاريخ الفلسفة الإسلامية، بيروت-لبنان، 1998 م، ط2، ص ص41-42.

ولهذا يعتبر الفارابي من بين الفلاسفة الأوائل الذين عرفوا العرب بالفلسفة اليونانية، وذلك من خلال ترجمة وشرح الكتب اليونانية، كما أقام الفارابي المدينة الفاضلة متأثراً بالأفكار الأفلاطونية والأرسطية في المجال السياسي والأخلاقي معاً، ولقد أعطى لفلسفته طابع إسلامي.⁽¹⁾

وعليه فإن النظرية الأخلاقية عند الفارابي تستمد أصولها من النظرية اليونانية بصفة عامة، تلك التي ترى في السعادة الخير الأقصى للحياة الإنسانية، كما أنها تتبع بصفة خاصة من عند أرسطو، فالأخلاق عند كل من الفارابي وأرسطو هي علم عملي، حيث نجد أن الفارابي حرص على الربط بين السياسة والأخلاق، وبين الأخلاق والفضيلة حيث يرى أنه لا ينبغي أن تكون هذه الفضائل في الشخص فقط، وإنما ينبغي أن يمارسها ويعمل بها في حياته العملية وبهذا يستطيع الفرد أن يحقق كماله أو السعادة .

وفي هذا نجد أن الفارابي يحدد ماهية السعادة الخلقية ورسم طريق للوصول إليها عبر الفضيلة، ويضاف إلى هذا بقوله: "السعادة هي الخير المطلوب لذاته، وليست تطلب أصلاً ولا في وقت من الأوقات لينال بها شيء آخر، وليس وراءها شيء آخر يمكن أن يناله الإنسان أعظم منها".⁽²⁾

01- فاروق سعد، المرجع نفسه ، ص185.

02- علي بو ملحم، آراء أهل المدينة الفاضلة ومضاداتها لأبي نصر الفارابي، دار مكتبة الهلال، 1995 م، ط1، ص101.

يرى الفارابي أن قيام المدينة الفاضلة يكون بالاجتماع الإنساني فطرة وضرورة لقيام حياة، وهذا ما عبر عنه مختلف الفلاسفة باعتبار الإنسان مدني بطبعه، بمعنى أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن غيره، فهو بحاجة إلى الاجتماع حتى يحقق السعادة والكمال الذي يسعى إليه، حيث نظر الفارابي إلى المجتمع على أنه وسيلة وليس غاية، فهو ينظر إليه على أنه المجال الوحيد لكي يبلغ كماله فيقول في هذا السياق: "أن المدينة التي يقصد الاجتماع فيها التعاون على الأشياء التي تتال بها السعادة في الحقيقة، وهو الاجتماع الفاصل، والأمة التي تتفاوت مدنها كلها على ما تتال به السعادة هي الأمة الفاضلة، وكذلك المعمورة الفاضلة إنما تكون إذا كانت الأمة التي فيها يتعاونون على بلوغ السعادة." (1)

حيث يرى أن طريق التعاون تصبح المدينة فاضلة والأمة فاضلة ومجموعة الأمم الفاضلة، كما يصف أهل المدينة الفاضلة بالنظام والعلم وعشق الفضيلة، وأن يكون الحاكم فيها فيلسوفاً حكيماً أو نبي يوحى إليه، وبهذا سوى الفارابي بين النبي والفيلسوف، فحسب تصوره كلاهما صالحين لرئاسة المدينة الفاضلة، فلما انتهى عصر الأنبياء جاء الفلاسفة الحكماء من بعدهم ليتبعهم الرعية، كما نجده قد حدد مجموعة من خصال لرئيس نذكر منها: **جيد الحفظ، وجيد الفطنة، محبا للعدل،** كما نجد أنه لم يكتفي بالحديث عن المدينة الفاضلة، بل نجده أيضاً يشير إلى مضادات المدينة الفاضلة والتي توجد فيها تجمعات وهي الجاهلية والفاسقة والمتبدلة والضالّة، وهذه المدن لا تستند على الحكمة والعقل وإنما على الحواس. (2)

01 - هالة أبو الفتوح أحمد، فلسفة الأخلاق والسياسة المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس، الطور الأول، د.س.ن، د.ط، ص 178.

02 - فاروق سعد، المرجع نفسه، ص 30-32.

يقول الفارابي عن المدينة الفاضلة: "إن المدينة الفاضلة هي التي يقصد بها الإجماع فيها للتعاون على الأشياء التي ينال بها السعادة والاجتماع الذي به يتم التعاون على نيل السعادة هو الإجماع الفاضل.⁽¹⁾

ولهذا يتضح لنا أن الفارابي كان شديد الحرص في الربط بين النظرية السياسية والأخلاقية وهذا يظهر من خلال فلسفته السياسية التي شملتها كتبه السياسية.

01 - يوسف فرحات، الفلسفة الإسلامية وأعلامها، جنيف، 1983 م، ط1، ص ص 85-86.

الفصل الثانی: مکیافیلی ومحاولة رسم معالم الفكر السياسي

تمهید:

یعد مکیافیلی من بین الفلاسفة الذین حملوا علی عاتقهم مسؤولية خلاص إيطاليا، فهو بذلك شأنه شأن کل فیلسوف یسعى إلى تخلص بلاده من الفساد السياسي والاجتماعي الذی تعیشه إيطاليا، فانتهج منهج جدید ومغایرا للفلاسفة الذین سبقوه لدراسة الدولة وتحقیق الأمن والاستقرار فیها خاصة فیما یخص السلطة والمحافظة علیها من قبل الحکام الذین یملکونها، فمکیافیلی أراد أن یستقل بالسیاسة وأنظمة الحکم بعيدا کل البعد عن القیم الأخلاقية والمبادئ الإنسانية، إذ یرى أن الغرض من وجود دولة هو الحفاظ علیها بمختلف الوسائل أو الطرق سواء كانت مشروعة أو غیر مشروعة، أخلاقية أو لا أخلاقية. وإنما المهم هو الغایة من وجود الدولة فی حد ذاتها، وعلیه فإن الغایة تبرر الوسيلة.

ومن هنا نطرح الإشکال: فیما یتمثل الفكر السياسي الأخلاقي عند مکیافیلی؟

المبحث الأول: النظرية السياسية عند مكيافيلي

أ- ضرورة الفصل بين الأخلاق والسياسة عند مكيافيلي:

إن النظرية المكيافيلية في كتاب "الأمير" هي محاولة خلاص إيطاليا من الفساد السياسي وإنقاذها من الانحطاط والخراب الذي عرفه الانقسام الذي تعرضت له إيطاليا، كما أنها محاولة صنع أمير قوي يمكن أن يعتمد عليه لتحقيق الوحدة لإيطاليا ومدنها، ولهذا ينبغي عليه أن يتصف الأمير بكل الصفات الأخلاقية واللااخلاقية أي يعتمد على كل الأساليب الغدر والخداع مادامت توصله لغرض سياسي وهو الوصول للحكم ومحافظة على دولته وسلطته، فالحاكم في نظر مكيافيلي هو الذي يكون رجل حرب وسياسة ورجل قوي، كما ينبغي على الحاكم أن يتقن فن المصانعة والخداع، وكل أساليب التحايل ولا يعتمد على القيم الأخلاقية أو المبادئ الدينية أو الفضائل الإنسانية وذلك في نظره أن الحاكم لا يعرف الدين والأخلاق لذلك:

دعا مكيافيلي إلى ضرورة الفصل بين الأخلاق والسياسة في نظريته السياسية وبالخصوص في كتابه الأمير، إذ أجاز للحاكم أن ينكر لمبادئه الأخلاقية للوصول للحكم والسلطة والاحتفاظ بدولته.

فلقد مكيافيلي رجل دولة وليس رجل أخلاق أو رجل دين، كان هدفه توحيد إيطاليا المتمزقة بالقوة العنف، أي أن هذه الوحدة لا يمكن أن تقوم بدون القضاء على الفساد الأخلاقي والديني الذي انتشر في إيطاليا في تلك الحقبة، فهاجم الأخلاق وكل ضروب التقوى الخادعة، وقرر أن مسائل الدولة ومشاكلها لا يمكن أن تخضع لقيم جوفاء أو تدور في محراب اللاهوت اللاوعي.⁽¹⁾

01- موسى إبراهيم، الفكر السياسي الحديث والمعاصر، دار المنهل اللبناني للدراسات، د م ن، 2011م، ط1، ص27.

كما أن مكيافيلي كان أول من رفع شعار "الغاية تبرر الوسيلة"،⁽¹⁾ فإذا ما كانت غاية الحاكم المحافظة على حكمه، جاز له أن يستعمل كل الطرق والوسائل التي تضمن له ما يريد، فتغيب بذلك الوسائل الأخلاقية والقيم الاجتماعية.

وبهذا انطلق فيلسوفنا من اعتبار أن الغاية السياسية هي المحافظة على قوة الدولة، وعلى هذا الأساس فإن الغاية السياسية عند مكيافيلي هي الحفاظ وزيادة القوة السياسية الحقبة سواء أكانت الممارسة السياسية مشروعة أو غير مشروعة.⁽²⁾

وعليه فإن مكيافيلي يفصل بين الأخلاق و السياسة، ويخرج القيم الأخلاقية من الدائرة السياسية تماما، فمكيافيلي لم يكن مبالي لما للأخلاق والدين من آثار في نفسية الجماهير على الحياة الاجتماعية والسياسية، وكان يقر على استخدام الحكام لوسائل غير أخلاقية لتحقيق غاية أو مصلحة البلاد.⁽³⁾

إن النظرية السياسية عند مكيافيلي تسيطر فيها فكرة "الغاية" أو الهدف على جميع نظرياته السياسية فالحكام يحاولون مهما كان طرازهم على حماية أنفسهم في المراكز التي يحتلونها، ويحاول المتآمرون والراغبون في إقامة الممالك قلب السلطة القائمة، أما الشعوب فلا تطلب إلا السعادة والحرية ولا تتشد في حالة تعرضها للاضطهاد إلا الثأر من مضطهديها، ويبحث الشبان عن المراكز والشهرة، فالذين لا يملكون المراكز أو الممتلكات يرغبون في امتلاكها، بينما يتوق الذين في أيديهم المراكز

01- مولود زايد الطيب، علم الاجتماع السياسي، جامعة السابع من أفريل، ليبيا، 2007، م، ط1، ص19.

*الأخلاق: تعرف الأخلاق في اللغة، جمع خلق وهو العادة السجية، والطبع والمروءة والدين. (معجم جميل صليبا"ج1" ص 49).

02- موسى إبراهيم، المرجع نفسه، ص32.

03- نور الدين حاروش، تاريخ الفكر السياسي، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، م، ط2، ص282.

والممتلكات على الحفاظ عليها، حيث تختلف الغايات باختلاف الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها.⁽¹⁾

كما أن مكيافيلي لم يتحدث في كتاب الأمير عن الأهداف التي يتوخاها الأمراء من خير وشر، وإنما يهتم فقط في موضوع ما إذا كانت الوسائل التي يبحث عنها هي صالحة للحصول على تلك الأهداف المعينة، أو أنها غير صالحة لها،

وفي هذا يقول مكيافيلي: «إن من القواعد الصحيحة القول بأن النتائج قد تبرر ارتكاب أعمال قد لا يمكن التسامح بها، فإذا جاءت هذه النتائج خيرة وطيبة فإنها تبررها دائماً». ⁽²⁾

ولهذا فقد عني مكيافيلي في نظرية السياسة بكتابة أهم الوسائل والطرق التي تحقق قوة الدولة وتمكنها من توسيع سلطانه في الخارج، فالوسائل التي قصدها مكيافيلي لم تكن تقوم على المقاييس المسلم بها ولا سيما المقاييس الأخلاقية، ذلك أن المهم والأول هو تحقيق الغاية المنشودة ولا عبء في الوسيلة الموصلة إليها، ومن هنا تبرر مدح مكيافيلي للحكام الذين يحققون تركيز سلطتهم وقوة دولتهم دون الأخذ بعين الاعتبار الوسائل التي يلجئ إليها لتأمين ذلك، دون مراعاة عدم ارتباط هذه الوسائل بالقيم والمسلّمات الأخلاقية.⁽³⁾

وبهذا فرق فيلسوفنا تمام التفريق بدراسة السياسة ودراسة الشؤون الأخلاقية، وأكد على عدم وجود أي رابط بينهما.

01- نيقولا مكيافيلي، مطارحات، تعريب: خير الدين حماد، دار الآفاق الجديد، بيروت، 1982م، ط3، ص ص 141-142.

02- نيقولا مكيافيلي، المصدر نفسه، ص 143.

03- نيقولا مكيافيلي، الأمير، تعقيب فاروق سعد، مكتبة لبنان، بيروت، 2008م، ط1، ص 198.

فالتفكك والتشتت للمجتمع الإيطالي على غرار الدويلات المجاورة له هو ما دفع مكيافيلي للمطالبة بأمير أو حاكم قادر على إنقاذ المجتمع الإيطالي من الفساد ومن واقعه السياسي المؤلم المنحط، مزودا بجميع الأساليب السياسية حتى الغير أخلاقية من أجل تحقيق الغاية السياسة الكبرى والمتمثلة في تحقيق الوحدة لإيطاليا.⁽¹⁾

كما أن فصل السياسة عن الأخلاق عند مكيافيلي تظهر في رسالة كتاب الأمير، فرسالة الأمير صريحة غاية الصراحة في إنكارها للأخلاق التي يخص سلوك الحكام.⁽²⁾

وعليه فإن على الأمير أو الحاكم أن يعمل كل ما في وسعه ليصل إلى الغاية التي يرغب في الوصول إليها وتحقيق أهدافه و مصالحه دون الأخذ بعين الاعتبار القيم الأخلاقية، لأن الضرورة ألغت الأخلاق من النظرية السياسية.

01- موسى إبراهيم، المرجع نفسه، ص 32

02- برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، تر: محمد فتحي الشنيطي، المكتبة المصرية العامة للكتاب، 1977 م، د.ط، ص 29.

ب- مبدأ القوة ومشروعيتها عند مكيافيلي:

لقد أجاز مكيافيلي مجموعة من الصفات التي ينبغي للحاكم أن يتصف بها، وعليه ينبغي للأمير أن يتسم بمبدأ القوة ليصل إلى نجاح حكمه لذا يجب على الأمير أن يتعلم استعمال طريقة الحيوان، فيلزمه تقليد الثعلب والأسد، إذ أن الأسد لا يستطيع حماية نفسه من الأشرار، ولا الثعلب يستطيع الدفاع عن نفسه ضد الذئاب، بل التظاهر بهما يكفي ليفرض قوته ويضمن بقائه ونجاح حكمه، كما أن نجاح الأمير يتوقف على مروءته وجرأته وعلى شخصيته ليحقق مصلحته والمصلحة العليا لإمارته، فقد يرتكب بعض الجرائم السياسية ويبعث الرهبة في قلوب البشر، وهذا كله من أجل فرض قوته وهيئته، لذا يجب على الأمير أن تكون له قوة الأسد ومكر وخداع الثعلب.⁽¹⁾

فقد اقترح مكيافيلي نظريته القائلة بنفي وجود أخلاقية واحدة ومبادئه بوجود أخلاقيتين: الأخلاق السياسية والأخلاق الشخصية، فما يعد في الأخلاق الشخصية غير جائز إطلاقاً كالعنف والكذب ونكث العهود، يصبح على صعيد الأخلاق السياسية مسموحاً به بل واجب لبلوغ الهدف.⁽²⁾

ولهذا نجد مكيافيلي معجب كثيراً بالسياسة التي استخدمتها جمهورية روما في توسعها على حساب حلفائها وأعدائها، حيث عرفوا كيف يجدون بفضل عبقريتهم السياسية الصيغة الصحيحة للنجاح الخارجي القائمة على المزج بين القوة والحيلة.

01- نور الدين حاروش، المرجع نفسه، ص 281.

02- فضل الله محمد إسماعيل، الأصول اليونانية للفكر السياسي الغربي الحديث، كفر الدوار "بستان المعرفة"، د.د.ن،

2001م، ط 1، ص 92.

إذ ينبغي للأمير أن يكون له قوة كافية أو بعبارة أخرى أسلحة جيدة،ولهذا يعتبر مكيافيلي رائد الدعوة لتأسيس الجيوش القومية الوطنية،كما ينبغي للأمير أن يستعمل الحيلة والغش في فن الحرب،لأن انتصاره على العدو بالحيلة على طريقة الثعلب يستحق من التكريم ما يستحقه الظفر منه بالقوة على طريقة الأسد.

وعلى هذا نجد أن مكيافيلي يدعو الحكومات على انتهاج سياسة الثعلب في وضع المعاهدات وتطبيقها في معاملاتها،ويرى أن من حماقة أن يحفظ الناس العهد وهي تضر بمصالحهم.

كما أن هذه الوصية كانت قد جاءت في كتابه الأمير تحت عنوان "كيف يتوجب على الأمير أن يحفظ على عهده"ويقول في هذا الصدد:«لو كان الناس طيبين، فإن هذا الرأي لا يكون طيباً،ولكن بالنظر إلى أنهم سيئون وهم بدورهم لن يحفظوا على عهدهم لك،فإنك لست ملزماً بالمحافظة على عهودك لهم».(1)

إذ ينبغي على الدولة أن تعرف بالإنسانية وبالوفاء والعدل والحق والاحترام للاتفاقيات ومن المستحسن إظهار المعتدي والمخادع والظالم ومنتك الحق والوعد المقطوع، وهو الطرف الآخر للعدو، عدو أمس واليوم والغد، وهذا ما يكسب الدول عطف الناس في كل من الداخل والخارج.(2)

وعليه ينصح مكيافيلي الأمير بالاعتماد على قوته في الداخل والخارج، فهي التي ستدعم له حكمه وسلطانه أي سياسة الأمير مع رعيته وسياسته الخارجية، أي علاقته مع الأمراء الأجانب كلها قائمة على مبدأ القوة.

01- موسى ابراهيم، المرجع نفسه ، ص ص35-36 .

02- موسى ابراهيم، المرجع نفسه ،ص37.

ج- خصال الحاكم والمحكومين:

الأمير إذا أراد البقاء في حكمه ويكون حكمه صالحا لابد من اتصافه بالعديد من الصفات والخصال التي تفرضها عليه الضرورة لنجاح حكمه وكسب ثقة شعبه واحترام قانونه، لذا يجب أن يتصف بالسخاء والدخل، ويستعمل كل أساليب الحيل التي من شأنها أن تجلب له المزيد من المال ولا يندرج من اتهامه بالشح أو البخل، كما يمكن للحاكم أن يظهر بأكثر من شخصية تتلاءم دائما مع الظروف السياسية التي يمر بها. (1)

ومن هذا نجد أن صفات الحاكم لابد أن تتلاءم والطبيعة الاجتماعية والسياسية للمجتمع الذي يحكمه حتى يكون حكمه صالحا.

ففي كتاب "الأمير" نجد فيلسوفنا قد وضع المواصفات التي يجب على الحاكم الناجح القوي التمتع بها والتي تعتبر من ضروريات العمل السياسي الناجح:

- 1/ عدم الانفعال، الاستفادة من الفرص التي تتاح له.
- 2/ أن يكون له من القوة ما يمكنه من ارتكاب المعاصي إن اقتضت مصلحة البلاد ذلك.
- 3/ أن يكون نبيها ولبقا بحيث يفهم نفوس البشر جيدا.
- 4/ أن يستعمل الناس لقضاء أغراضه حسب ما تتطلب الظروف.
- 5/ أن يكون على استعداد لمحاربة الشر بالشر.
- 6/ أن يكون واثقا من نفسه ولا يهاب ولا يتردد.
- 7/ أن يتخلص من الجنود المرتزقة وينشئ جيشا وطنيا من أبناء بلاده. (2)

01- نيقولا مكيافيلي، الأمير، تعقيب: فاروق سعد، مكتبة لبنان، بيروت، 2008 م، ط1، ص21.

02- نور الدين حاروش، المرجع نفسه، ص220.

كان ينبغي للأمير إذا أراد أن لا يفقد رعيته وأن يكون قادرا على حماية نفسه وأن لا يصبح جسعا، وقد يقال: "إن عشر من الأمراء الذين حققوا فتوحات عظيمة بجيوشهم كانوا يوصفون أيضا بشدة السخاء، فإني أرد قائلًا أن الأمير قد ينفق من أمواله الخاصة ومن ثروات الآخرين وأموال الرعية".⁽¹⁾

فكلما اعتمد الحاكم على هذه المواصفات أثناء تأديته للعمل السياسي تمكن من السيطرة على زمام الأمور مما جعله في مركز القوة والنجاح في الحكم.

وهذا ينبغي على الأمير الإسراف من أمواله من جهة وأن يهتم بأن يكون سخيا معطاء من جهة أخرى، فهذا يؤثر عليه بالإيجاب حتى يستطيع التحكم في جيشه، فهو أمر ضروري بالنسبة للأمير في تسييره لجيشه، كما ينبغي على الحاكم أن ينسب اهتمامه بصفتين هما الفقر والكراهية الذي يجلبه له السخاء و يحرص أن لا يكون مكروها وجسعا لأن ذلك يجلب له العار والكراهية معا وينبغي للحاكم أن يكون في نظر مكيافيلي أميرا محبوبا أكثر من مهابا أم مهابا أكثر منه محبوبا أو ينبغي أن يكون محبوبا ومصاحبا في نفس الوقت إذ أن هذا بين الصفتين لا يمكن الجمع بينهما.⁽²⁾

01- نيقولا مكيافيلي، الأمير، تر: أكرم مؤمن ، مكتبة ابن سينا للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 2004 م، د.ط، ص83.

02 - نيقولا مكيافيلي، المصدر نفسه ، ص84.

وفي هذا الصدد يقول: "أنه على الأمير أن يجعل نفسه مهابا بطريقة تجعله إن لم يحصل على الحب فإنه يتجنب الكراهية على أي حال، وذلك لأن المهابة وعدم وجود الكراهية من الممكن أن يجتمعا معا، ويضاف إلى هذا أيضا قوله: "إن الناس يحبون بمحض إرادتهم الحرة لكنهم يخافون حسب رغبة الأمير وعلى الأمير العاقل أن يعتمد على ما له من سلطان، وأن يسعى إلى تجنب ما يسبب له من الكراهية المدمرة".⁽¹⁾

وبهذا نجد مكيافيلي يفضل الحاكم أن يكون مهابا وليس محبوبا، إذ أن المحبة قابلة على المصلحة والمنفعة على كسب مهامه فهي قائمة على الخشونة والخوف وطاعة الرعية لرعيته (سلطانهم)، كما أن مكيافيلي يوصي الأمير بأن يستخدم المصانعة والرياء حتى يرى استخدامها نافعا للوصول إلى السلطان، وفي هذا القول أبدى حكمته المشهورة أن: "المصانعة هي الجزية التي تدفعها الرذيلة للفضيلة".⁽²⁾

ومن هنا نستنتج أن مكيافيلي دعا لضرورة الفصل بين الأخلاق والسياسة من خلال تركيزه على بعض النقاط الواردة في كتابه الأمير والداعية إلى تمثيل النجاح والقوة بصفات أخلاقية تظهر في الحاكم.

01- نيقولا مكيافيلي، المصدر نفسه، ص ص 86-87.

02- نيقولا مكيافيلي، الأمير، تعقيب: فاروق سعد، مكتبة لبنان، بيروت، 2008م، ط1، ص21.

المبحث الثاني: الدين و السياسة عند مكيافيلي

كان مكيافيلي من أشد المناهضين و المعارضين للسلطة الروحية ففصل بين الدين والسياسة، و نادى بالتححرر من سلطة الباباوات، و يظهر الفصل بين الدين والسياسة أو فصله السياسة عن السلطة الروحية في:

أ- عداؤه للباباوات:

يعود سبب عداؤ مكيافيلي للباباوات إلى اتهام البابوية بالسيطرة على الشؤون الدينية والزمنية و تجاوزها حدود صفتها الشرعية و الحقيقية التي يجب أن يلتزم البابا بها "كالنصح وإرشاد وهداية الناس إلى الطريق المستقيم"، الأمر الذي أبعده الكنيسة عن طبيعتها الأصلية، و التجأها إلى الكثير من الأعمال التي مهدت و ساعدت على دخول الأجانب أرض الوطن تحت شعائر تدعيم السلطة الروحية و نشر الدين، و على هذا الأساس كان مكيافيلي من أشد المناهضين للباباوات لأن السلطة الروحية عامل من عوامل الهدم و الفوضى.

و يسند في ذلك أن البابوية تلجأ دائماً إلى الأقوياء لكي تحمي نفسها وهذا ما كان يحدث في إيطاليا قبل مجيء ملك فرنسا، حيث كانت تخضع هذه الدول لحكم البابا و الدوق و ملك نابولي، إذ كان هؤلاء الأمراء يمتازون بخاصيتين:

- تشمل الأولى في منع أي أجنبي من الدخول بجيشه إلى إيطاليا.

- الثانية تظهر بمنع أي أحد من التوسع. (1)

01- نيقولا مكيافيلي، المطارحات، تعريب: خيري حماد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1982م، ط3، ص141.

فقد كان البابا يظهر من وقت لآخر ذو عزم وشجاعة إلا أنه لم يستطع حل كل الصعوبات التي كانت تواجهه، فعجز الباباوات كان راجع إلى قصر مدة حكمهم لأنه من الصعب القضاء على أحد الحزبين خلال عشر سنوات، وهي المدة التي يقضيها البابا في الكنيسة، وعند مجيء البابا الذي يخلفه لا يكمل ما بدأه الأول بل يخالفه، حيث أن هذا البابا جاء ليظهر هو الآخر سيطرة جديدة مخالفة للأولى، لهذه الأسباب كانت قوة الباباوات الدينية غير جديرة بالإحترام في إيطاليا، الأمر الذي جعل مكيافيلي يعادي الكنيسة باعتبار حكمها لا يؤدي إلى النجاح، وليبين هذا استدلالاً بالبابوية التي تركت روما. (1)

وعليه نستنتج أن وجهة نظر مكيافيلي بضرورة فصل الدين عن السياسة جعلت من الأعداء البارزين للحكم البابوي بإيطاليا، فمادام الوضع بإيطاليا لم يتحسن مع التواجد البابوي في ساحة الحكم دليل على أن الحكم اللاأخلاقي للباباوات وعدم احترامهم لمبادئ الحكم الناجح.

01- نيقولا مكيافيلي، الأمير، تر: أكرم مؤمن، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2004م، د. ط، ص 63.

* فكرة عداؤه للبابوية والدين المسيحي إلا أنه أعترف وهو على فراش الموت وطلب المعرفة هو ما أدلى به أحد الكهنوت (المطارحات، خيرى حماد، ص 141).

ب- فصل الدين عن السياسة:

إن فصل حكم البابوية هو الذي جعل مكيافيلي يفصل بين الدين والسياسة دون الاهتمام بالدور الفعال الذي يلعبه الدين داخل السياسة، فقد كان للوضع السياسي والاجتماعي الفاسد والمتردّي في إيطاليا من خلال التشتت والانقسام ضمن المجتمع الايطالي إلى دويلات صغيرة متناحرة الأمر الذي دفع بمكيافيلي البحث عن المسئول لهذا الوضع فوجد أن البابا والكنيسة المسيحية هما المسئولان عن تعاسة المجتمع الايطالي، فالبابا بدلا من أن يبقى حاكما بين المسيحيين في أوروبا بأكملها جعل من نفسه حاكما يسعى للسلطة والنفوذ مثله مثل أي حاكم زمني آخر، وهذا ما أبقى على تردي الأوضاع وعرقل تحقيق الوحدة القومية الايطالية التي كان مكيافيلي يحلم بها. (1)

إن هذه النقمة التي يوجهها مكيافيلي للبابا وللكنيسة المسيحية تعود برأيه لدور المسيحية في احتقار الفضائل العسكرية والشرق، بدلا من التمسك بها كالأديان الأخرى فالمسيحية برأيه وهي ترسم السلوك والأخلاق المسيحية لا تعبر إلا عن الذل والخضوع. (2)

إن فصل الدين عن الدولة في نظر مكيافيلي لا يعني كراهيته للديانة المسيحية، لكنه عارضها معارضة شديدة، فتعاليمها لا تتلاءم مع المطالب السياسية وأهدافها، لأنها تقوم على مبادئ وقواعد عقائدية محدودة ولم يكن من السهل أن تتكيف مع الأهداف السياسية على عكس الأديان القديمة التي تدعو إلى عظمة النفس وقوة الجسد واستطاعة استخدام الدين لتحقيق غايتهم السياسية. (3)

01- محمود سعيد عمران وآخرون، النظم السياسية عبر العصور، دار النهضة العربية، بيروت، د.س.ن، ط1، ص316.

02- محمود سعيد عمران وآخرون، المرجع نفسه، ص316.

03- نيقولا مكيافيلي، المطارحات، تعريب: خيري حماد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1982م، ط3، ص140.

وفي هذا الإطار يقول مكيافيلي: "إن الأديان القديمة كانت تركز على الفضائل الطوعية الوحشية التي تصنع الشعوب القوية خصوصا الحرة ، ما كانت توحى بحب العمل وتقديس قادة الجيوش ورؤساء الجمهوريات، وتجعل قواسم السعادة القصوى في عظمة النفس وقوة الجسد، وفي كل ما يجعل البشر مخيفين، أما المسيحية فإنها تمجد أكثر الناس الوضعيين الذين يكرسون وقتهم للحياة التأملية وتطالب بقوة النفس قبل كل شيء من أجل تحمل الآلام وتعد البشر من أجل الذهاب إلى الجنة لتلقى ضربات الأشرار بدل ردها لهم، فالدين المسيحي يضع السعادة القصوى في التواضع والدناءة واحتقار الأمور البشرية ، وتجعل الشعوب ضحية وتصنع منها فريسة سهلة للأشرار".⁽¹⁾

إن مكيافيلي قد أرجع فشل السياسة والعمل السياسي بالدرجة الأولى إلى الدين وذلك من خلال الممارسات والأعمال التي يقوم بها رجال الدين على المجرىات السياسية، وعليه فإننا نجد مكيافيلي يعفي الأخلاق والدين من الساحة السياسية. في هذا الصدد يقرر مسائل الدولة ومشاكلها إذ لا يمكن أن تخضع لقيم جوفاء أو تدور في محراب اللاهوت اللاواعي أو تصطبغ بألوان الطقوس الشاحبة.⁽²⁾

01- نيقولا مكيافيلي، المطارحات، المصدر نفسه ، ص 140.

02- موسى ابراهيم، المرجع نفسه ، ص ص 27-28.

كما ينبغي للحاكم أن يظهر المزيد من الاحترام للدين لأن الدولة لا تستطيع ضمان أمنها إلا إذا اعتمدت على الدين وشجاعته لأنه يعتبر من الناحية السياسية أداة يمكن لدولة استخدامه لإقناع الجماهير.⁽¹⁾

وعليه فإن السلطة السياسية لا بد أن تتحرر من كل المعتقدات الكنسية والأخلاقية لتقوم بالهدف الذي جاءت ووجدت لأجله الكنيسة.

137. تعريب: خيري حماد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1982م، ط3.

01- نيقولا مكيافيلي

ج- الدين وسيلة "أداة إقناع":

لقد استخدم مكيافيلي الدين كوسيلة لكسب الشعب، فالأمير ينبغي عليه أن يعتمد على الدين ويشجعه ليستطيع كسب ثقة الناس وإقناعهم بما يريد وليتكون له صلة مع الناس قائمة على الاحترام وليس على المعادة.

فالدين مظهر من مظاهر الإقناع، ولهذا كان يفضل ديانة روما القديمة لأن هذه الديانة كان من السهل فرض الإشراف عليها وإستخدامها، وأنه في الإمكان بالنسبة للنبوءات والإيمان وضع تفسيرات تنفع الغاية الدنيوية المتواخاة ومعظم ملاحظاته عن الديانة التي نشأ عليها ملء بالنقد ولكنها انتقادات موجهة على الغالب إلى سياسة الباباوات إلى الرذائل في بلاد البابوية وبين رجال الدين الكبار، ولم تكن هذه الرذائل مؤثرة في رأيه على تعاليم الكنيسة ومقنعة إياها فحسب، بل كانت مسيبة لفضائح بدت له وكأنها ستزل اللعنة بالنصرانية.⁽¹⁾

ويرى في التعاليم والإجراءات إلى خطأين يشير إليهما، يتعلق أحدهما بالطقوس والثاني يتعلق بالعقيدة، كما يتحدث مكيافيلي عن الطقوس المسيحية ويصفها بأنها ناعمة، وذلك إذا ما قورنت بالطقوس الوثنية التي لم تكن تقتصر على الفخامة والجلال فحسب، بل تتعداها إلى سفك الدماء والمزيد من القوة مشيرا في حديثه هذا على طقوس روما في عهد الجمهورية، إذ أن هذه الطقوس لم تكن تعرف الدم كثيرا وإنما كانت تقتصر على الفخامة والزخرفة التي انتشرت في عهد الرومان إذ يقول: «لو كان الهدف من الدين هو سفك الدماء والتعطش إليها، فليس ثمة ما يمكن أن يقال، سوى أن هذا الدين مهزلة ليس إلا». ⁽²⁾

01- نيقولا مكيافيلي، المطارحات، تعريب: خيري حماد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1982م، ط3، ص 137

02- نيقولا مكيافيلي، المصدر نفسه، ص138.

وتتصب شكوى مكيافيلي أن الدين يسمح للناس بتمجيد أوطانهم والدفاع عنها وهكذا يتطلب منهم تدريب أنفسهم وإعدادها للدفاع، إلا أن هذا العامل في التربية الدينية أهمل إهمالا مؤسفا مما أدى إلى استخذاء الناس للأوضاع الراهنة.⁽¹⁾

وعليه فإن مكيافيلي شديد الإعجاب بالديانة الرومانية، حيث أن هذا النوع من الديانة استطاع استخدام الدين في سياسته وتحقيق أغراضه وأهدافه، أما الديانة المسيحية فهي ديانة لم تستطع تحقيق الانسجام بين الدين والسياسة لم تستطع استخدام الدين لتحقيق أغراضه.⁽²⁾

إن وثنية مكيافيلي عميقة الجذور إلى الحد الذي لم يدرك فيه أن هذه العقيدة التي ينادى بها لا تتحقق أبدا مع العقائد الأخرى التي يدافع عنها مكيافيلي كحق الشعوب في تقرير شكل الحكومات التي تختارها، ولا تشجع المسيحية العنف وتنتظر إلى (الحيلة) بشيء من المقت والازدراء.

أما مكيافيلي فيمجد العنف والحيلة على الرغم من كثرة حديثه عن العدالة والحاكم، فهو عندما يصل إلى موضوع أولئك الذين ينصبون العداة لعهد قادم، ينسى كل شيء عن العدالة والمحاكم ويكتفي بالقول بأنها يجب أن تزول.⁽³⁾

ومع ذلك فإننا نجد أن مكيافيلي ينطوي كثيرا باحترام للكنيسة لا عن رجال الدين فهو يعترف بأن العناية الإلهية ساهرة على الكنيسة كما أنها ساهرة أيضا على أملاك البابا الزمنية. فمكيافيلي كان يؤمن برسالة الدين وضرورته للمجتمع وأثره على الحياة السياسية و الاجتماعية.

01- نيقولا مكيافيلي، المطارحات، تعريب: خيري حماد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1982م، ط3، ص138.

02- نيقولا مكيافيلي، المصدر نفسه، ص140.

03- نيقولا مكيافيلي، المصدر نفسه، ص141.

د- أنواع الحكومات:

إن مكيافيلي في حديثه عن الحكومات وأنواعها لم يتحدث عن المدن التي كانت منذ مستهل عهدها خاضعة لسلطة مدن أخرى، وإنما حصر حديثه عن المدن التي كانت منذ بداية نشوءها في منجاة من أية عبودية خارجية، وكانت تحكم طبقاً لرغباتها وحدها سواء كانت من الجمهوريات أو من الإمارات، ولما كانت هذه المدن تختلف في منشئها فقد اختلفت أيضاً في قوانينها ومؤسسيها، فقد اتبع لبعضها منذ مستهل عهدها، كما حدث هذا لإسبارطة، ولا ريب أن الحكومة السعيدة هي تلك الحكومة الشعبية التي تخرج حكيماً يستطيع الناس الحياة بمأمن في ظل القوانين التي يضعها لها.

والتي تظهر هي بنفسها إلى القيام بهذا التنظيم فتكون تعيسة لا محال، ولعل أتعس منها تلك التي أخطأت منظماتها طريق الصواب الذي يقودها إلى مصيرها الصحيح والحق، وعلى أي حكومة في دولة معينة أن يتبنوا حكمهم على أحد الأحكام التالية.⁽¹⁾

01- نيقولا مكيافيلي، المصدر نفسه، ص ص 216-217.

أ- حكومة الطغيان:

تشكلت هذه الحكومة عن طريق تجمع الناس واقترابهم ببعضهم البعض وحرصا منهم على تحسين وسائل الدفاع عن أنفسهم، شرعوا يتطلعون إلى رجل منهم يكون أكبر قوة وأكثر شجاعة من غيره فينصبونه رئيسا عليهم ويدينون له بالطاعة، وعندما أخذوا يبحثون عن أمير لاختياره، لم يكونوا يبحثون على أكثر شجاعة كما كان من قبل، وإنما شرعوا يبحثون عن أكثرهم حكمة وعدالة، وعندما بدؤوا في قبول الأمرء بالوراثة بدلا من انتخابهم، شرعوا يهجرون أعمال الفضيلة ويعتبرون أن على الأمرء ألا يعملوا شيئا سوى التفوق على الآخرين في الإنفاق والإقبال على الشهوات مما أدى إلى تركيز الكراهية على الأمرء الذين يلجئون إلى الخوف متى أحسوا بكراهية الناس لهم مما يؤدي بهم إلى أعمال العنف التي تنتج هذا الحكم المتمثل في حكم الطغيان ويكون في هذا الحكم في وقت قصير مصدرا لسقوط الأمرء، وتحمل الجماهير السلاح بتحريض هؤلاء الذين ينطبق عليهم تعبير "الرئيس الفرد". (1)

نستنتج من هذا العنصر والمتمثل في حكومة الطغيان الناتجة عن طغيان الأمرء الموالين للحكم عن طريق الوراثة، حيث تغير مبدأهم الداعي للعدالة إلى العمل من أجل التفوق على الغير في الإسراف وإتباع الشهوات، بعيدا كل البعد عما قام به أسلافهم السابقون في حكمهم العادل، وهذا الأمر يجعل حكمهم قصيرا مرفوضا من المجتمع.

01- نيقولا مكيافيلي، المصدر نفسه، صص 218-219.

ب- الحكومة الاوليغارشية:

هي حكومة القلة التي تهمل فيها الحقوق المدنية تمتاز بالإهمال، وهذه الحكومة تشبه حكومة الطغيان، وذلك راجع إلى الحكم الذي كان قائماً على الطغيان والاعتصاب والاحتقار فيقع ما وقع لطاغيه، ولما كانت ذكريات الأمير ما تزال ماثلة في عقول هذه الجماهير، ولما كانت معاييه ومخازيه لا تزال حديثة العهد في واعيانهم، ولما كانوا قد تحصلوا من حكم القلة فإنهم يظهرونه ميلاً واضحاً إلى نظام حكم آخر، ألا وهو حكم الشعب الديمقراطي. (1)

تظهر هذه الحكومة مشابهة لحكم الطغيان، فالمجتمع يرفض كل عوامل الاعتصاب وإهمال الحقوق المدنية للقلة، الأمر الذي يدعو للبحث عن حكومة عادلة تظهر فيها الحقوق ويغيب فيها البطش.

01- نيقولا مكيافيلي، المصدر نفسه، ص 220.

ج- الحكومة الديمقراطية:

يتميز هذا النوع من الحكم بالتنظيم والمحافظة، فالحكم الديمقراطي يحظى بالاحترام، لكن هذا الاحترام أمد لا يدوم طويلاً ولا سيما الجيل الذي أقامه على تنظيم قد قضي، ولكن سرعان ما تسود الفوضى ولا يظهر ثمة احترام لا للفرد ولا للموظف، كما أن الفوضى تعود من جديد بعدما كانت الهدوء و السكينة سائدين، فتعود الإمارة إلى الحكم رغبة في الخلاص من الفوضى التي وقعت، وتعود الحلقة من جديد مرحلة مرحلة على النحو الذي وصلت حتى تصل إلى الفوضى ثانية، هذه هي الحلقة التي تمر بها جميع الحكومات سواء كانت مستقلة في حكمها تحكم نفسها بنفسها أو تابعة لحكم أجنبي، كما أن هذه الحكومات لا يمكن لها أن تعود إلى نفس الحكومة من قبل وذلك أنه ما يحدث عادة هو أن هذه الحكومات هي تفنقر في هذه الحالة التي يسودها الحرج، فهي تسعى إلى أن تغدو تابعة إلى دولة مجاورة منها تنظيمياً .

ويرى مكيافيلي أن أشكال الحكم التي شرحها ليست من النوع المرضي أبداً وذلك لأن عمر الحكومات الطيبة قصيرة ولأن حياة الحكومات السيئة مليئة بالشرور والآثام وهذا هو السبب الذي يحمل المشرعين العقليين الذين يعرفون معايها على الإمتناع من تبني أي شكل من أشكال هذه الحكومات والإختيار البديل عنها يتمثل في الشكل أكثر قوة وثباتاً إذ لو وجه حكم الأمراء والنبل والشعب في دولة واحدة لاحتفظ كل من هذه الفئات لنفسه بحق مراقبة الفئتين الأخرين.⁽¹⁾

نستنتج أن هذه الحكومة "الديمقراطية" هي الإختيار الأفضل لقيادة مجتمع نحو التقدم والرفي.

01- نيقولا مكيافيلي، المصدر نفسه ، 221.

وبالرغم من أن مكيافيلي كان قد أشاد بالنظام الجمهوري إلا أنه لا يعترف إلا بمظهرين من مظاهر الحكم هما: الملكية والجمهورية، بالرغم من تفضيله للنظام الجمهوري على الملكي الذي يقوم على الحرية التي بدونها لا تستطيع الدولة أن تقوى ثروتها، ورفض النظام الفردي المطلق الذي يقيد الحريات ولا يخدم إلا المصالح الخاصة للحاكم.

وفي مقارنته بين النظامين رأي مكيافيلي:

1- أن النظام الجمهوري يمتاز بحساسيته السياسية وقابليته للتطور عكس النظام الفردي الملكي الذي يتصف بالجمود والثبات ومحارنته لكل جديد.

2- أن الحكم الجمهوري يفتح المجال أمام الكفاءات ويحقق المساواة، والنظام الملكي باعتماده على مبدأ الوراثة يتنافى مع العدالة والمساواة كما أنه لا يحترم الكفاءات.

3- أن الحكم الجمهوري الشعبي أكثر احتراماً للإتفاقيات والمعاهدات الدولية، إذ وجد أن المصلحة الخاصة تتضرر حتى لو أدى ذلك إلى الإضرار بمصالح شعبه.

فعلى الرغم من أن مكيافيلي يفضل النظام الجمهوري على النظام الملكي إلا أنه بقي على فكرته المحاربة للأرستقراطية والنبلاء، ففي نظره تعيش على هامش المجتمع، فهم يعيشون عالية على المجتمع، همهم الوحيد هو جمع المال وزيادة ثروتهم على حساب الناس.⁽¹⁾

وهكذا نجد أن النظام الملكي عقبته في تقدم الشعوب على خلاف النظام الجمهوري الذي يسمح بتطورها وتقدمها.

01- موسى إبراهيم، المرجع نفسه ، ص38.

الفصل الثالث: تأثيرات فكر مكيافيلي.**تمهيد:**

إن أهم الصور التي ظهرت في العالم تبين مدى تأثيرها بالفكر الميكافيلي والذي أنتج أنظمة تميل كل الميل إلى الدكتاتورية، وهذا كله بغرض البحث عن نقاط القوة والثروة حتى يرتفع ميزان القوة نحو اشراقه مستقبل دول تدعو للكسب والسيطرة والجبروت، وهذا ما سيتم توضيحه في هذا الفصل الذي يبين الدكتاتورية في كل من الدول الغربية التي تظهر في "موسولوني بإيطاليا" و"هتلر بألمانيا" والدول العربية التي تظهر في "جمال عبد الناصر بمصر" و"معر القذافي بليبيا" مع إبراز كل طريقة معتمدة على حسب ميزة الشخصيات وطموحاتهم، لكن يشتركون في ميزة حب التملك والسلطة.

وعليه نطرح الإشكال الآتي: أين برزت تلك التأثيرات على الأنظمة السياسية؟

المبحث الثاني: الدكتاتورية الغربية الحديثة

لقد كان لأفكار مكيافيلي أثرا كبيرا على السياسة الغربية ويتضح ذلك بشكل جلي في مسار كل من موسولوني وهتلر اللذان سارا حذو الأفكار التي جاء بها مكيافيلي.

أ- موسوليني في إيطاليا BENITO.MUSSOLINI:"

تخلى موسوليني عن أفكاره الاشتراكية وتحول إلى قومي متعصب مطالباً بلاده بالدخول في حرب مع النمسا لتحقيق مطامع بلاده القومية. فانخرط في الجيش وخاض المعارك وجرح فيها، وبعد خروجه من الحرب عنيفا وقاسيا ومغامرا.(1)

سعى موسوليني إلى نشر أفكاره النارية وأرائه التي تضمنت الإلحادية وفي مضمونها تدشين مفاهيم جديدة لاشتراكية تعتمد على الفوضى، وإثارة المشاكل فقد هاجم رجال الدين، والكنائس، ودور العبادة والأديان كافة، ووصل الأمر لمهاجمة المسيح نفسه، فأمر رجال الدين في سويسرا بطرده منها. أسس موسوليني الحزب الفاشي الذي كان يهدف لمواجهة مشاكل إيطاليا.

* بينيتو موسوليني "BENITO.MUSSOLINI" من مواليد "29 يوليو عام 1883-28 أبريل 1945"، ترعرع في مدينة برايدابيو في إقليم الكومو في إيطاليا من أب حداد أم معلمة، وعند بلوغه سن الثامنة عشرة من العمر مارس مهنة التدريس ولكن سرعان ما سئما فتخلى عنها وبدأ حياة التنقل والتشرد ما بين سويسرا وفرنسا والنمسا. فبسبب معاشرته الفوضويين والاشتراكيين كانت السلطات في تلك الدول تبادر إلى سجنه وطرده من أراضيها، وفي الواحدة والعشرين من عمره عاد لبلاده لتنفيذ الخدمة الإجبارية في الجيش ومن ثم العمل في الصحافة كصحفي في إحدى الصحف الاشتراكية، فبعد انتهاء الحرب الروسية الألمانية و مشاهدته لمواقف الحزب الاشتراكي الألماني المؤيدة للجانب الروسي (رؤوف سلامة موسى، موسوعة أحداث وأعلام مصر، دار مطابع المستقبل بالفجالة ومكتبة المعارف، الإسكندرية، بيروت، 2002م، ط1، ص 1066.

01- مهدي محفوظ، اتجاهات الفكر السياسي في العصر الحديث، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، د.م.ن، 2007 م، ط3، ص 235-236.

اتَّبَع سياسة العنف، وأسلوب أفراد العصابات، وألبس أفراد القمصان السود، وأمر رجاله المنضمين للحزب بأن يكونوا رجالاً شديدي البأس في مواجهة أي إضراب. وأن يوسعوا أولئك العمال ضرباً حال تنفيذ أي إضراب من جهتهم.

أُعيدت تسمية الحزب أو الحركة التابعة لموسوليني باسم "الفاشية" وبقيت مهمشة، ولم يفز أي تابع للحزب في انتخابات 1919، بعد ذلك سُجن موسوليني أربعة سنوات على خلفية مدهامة الشرطة لمقر مجلة الحزب، ووجدت فيه قنابل ومتفجرات حينها في العام 1921، أعلن موسوليني نفسه قائداً للحزب الوطني الفاشي، وقمَّع كل من يعارض الفاشيين حتى عام 1926، الذي حرِّم فيه الإضرابات وسُنَّت قوانين جديدة؛ وألغيت بعد فترة.⁽¹⁾

اعتبرت الدولة عند الدكتاتوريين القيمة المطلقة الوحيدة في الحياة الإنسانية وهي إرادة الله على الأرض وهي الحقيقة الوحيدة الشاملة غير المحدودة، وعليه عبر موسوليني عن هذا الاتجاه الفكري أن الدولة هي المطلق في مواجهة الأفراد والجماعات الذين يظلون دائماً بمثابة أمور نسبية في مواجهة الدولة.⁽²⁾

فقد بين أن الدولة ليست مجرد حارس ينشغل بواجب تحقيق السلامة للمواطنين ليس إلا، كما أنها ليست مؤسسة ذات أغراض مادية بحتة لضمان مستوى معيشي طيب وظروف آمنة للحياة، فالدولة حسبه تمثل الروح الخالدة للأمة، فهي لا تلغي الفرد ولكنها تجعله جندياً في كتيبة وتبقي للفرد نطاقاً من الحرية بعد أن تحول بينه وبين الحريات غير المفيدة، فالدولة وحدها هي التي تقرر مدى ذلك النطاق، فمجمَل القول: لا شيء خارج الدولة ولا شيء ضد الدولة ولا شيء فوق الدولة.⁽³⁾

01- www.arageek.com يوم 02/08 /2017 م على الساعة 16:41.

02- يحيى الجمل، الأنظمة السياسية المعاصرة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.س، د.ط، ص 230.

03- يحيى الجمل، المرجع نفسه، ص 231.

فقد سعت الفاشية إلى إقامة دولة قوية ومستقلة وقائمة على العنصرية وحق التوسع، واعتبرت أن الوسائل التي تمكنها من تحقيق ذلك تكمن في اعتماد الأسس التالية:

❖ إعتماد مبدأ القوة:

فالروح العسكرية برأي الفاشية أرفع من الروح المدنية والمنتصر أفضل من المهزوم، وأبناء الأمة أولى بالبقاء من الضعفاء، كما أن أعضاء الحزب أجدر من غير الأعضاء، وعليه رفضت الفاشية الأخذ بفكرة المساواة وبما تتضمنه من مفاهيم الديمقراطية والسيادة الشعبية. فالسيادة الشعبية عبارة عن وهم كاذب لان السيادة دائما للدولة، وعليه أنكرت الفاشية فكرة الديمقراطية وبالتالي حق الأفراد في اختيار شكل الحكم.⁽¹⁾

و عليه نستنتج أن الفاشية تدعو إلى الروح العسكرية التي تعد مثال القوة والانتصار بعيدا عن الديمقراطية المساوية بين الأفراد.

01- مهدي محفوظ، اتجاهات الفكر السياسي في العصر الحديث، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، د.م.ن، ط3، 2007 م ، ص 237.

❖ اعتماد العاطفة والدعاية في التوجيه:

لم تكن الفاشية تثق بالعقل التوجيهي، لهذا حاولت السيطرة على الجماهير بالوسائل العاطفية واللاعقلانية وتنشئة الأحداث تنشئة مبنية على الإيمان بصحة المذهب الفاشي والانقياد الكلي للزعيم المعصوم عن الخطأ. وعلى هذا الأساس كانت صور بنيتو موسوليني تملأ جدران المدارس مع ذكر عبارة موسوليني دائماً على حق. فالفاشية لم تكف بالسيطرة على السلطة السياسية فقد إنما اتجهت لاستخدام الدعاية لتوجيه المجتمع في جميع مجالاته وفرض طريقة حياة معينة وفلسفة وجود تقرب من حد الاعتقاد الديني، بحيث يبدأ هذا التوجيه من أصغر خلية في المجتمع أي العائلة التي يكون الأب فيها الحاكم المطلق الذي يتوجب على جميع أفراد العائلة الخضوع له وطاعته.⁽¹⁾

إن اعتماد الفاشية على العاطفة والدعاية والتوجيه بدءاً من أصغر خلية في المجتمع "الأسرة" مكنتها من السيطرة على الجماهير نحو التوجه لفكرة الزعيم المعصوم عن الخطأ، وهذا ما زادها تحكما في فكر المجتمع الإيطالي.

❖ عدم القناعة بمبدأ المساواة:

آمنت الفاشية بأهمية الانتماء العنصري ويحق بعض الشعوب في السيطرة على شعوب أخرى بحكم انتمائها العرقي أو القومي، فقد سعت الفاشية لإعادة أمجاد الإمبراطورية الرومانية لإيطاليا، وعليه رفضت الفاشية القبول بالمنظمات الدولية والقانون الدولي القائم على مبدأ سيادة الدول واعتبرت أن القوة فوق القانون.

فالدولة حسبهم تقوم على عنصر الوحدة الجغرافية والبشرية والروابط التاريخية الواحدة، وعدم رفض الفاشية للفكرة العالمية إلا لإيمانها بأن حالة الحرب بين الدول هي الحالة الطبيعية بين البشر، فالدولة يجب أن تخدم نفسها دون النظر إلى مصالح بقية الدول الأخرى، فحتى حاجتها إلى مواد أولية لصناعاتها أو أسواق خارجية لصادراتها أو أراضي لسكن مواطنيها فالحرب هي الوسيلة الشرعية لتحقيق هذه الأهداف، فمفهوم الحرب عندهم حالة طبيعية تفرز العناصر الخلاقة في الأمة كي تقوم بدورها القيادي حتى تصل بالدولة إلى الحياة الفضلى من وحدة الشعب وتنظيمه المثالي.⁽¹⁾

وعليه رفض نظام موسوليني فكرة حكم الأغلبية، فهو فلا يرى للأغلبية حقا في أن تحكم أو ترسل ممثلها للحكم على حسب قول موسوليني: "إن الفاشية تنكر أن الأغلبية لمجرد كونها أغلبية تستطيع أن تحكم المجتمع الإنساني"⁽²⁾.

01- مهدي محفوظ، المرجع نفسه، ص 238.

02 - يحيى الجمل، المرجع نفسه، ص 235.

ومن هنا نستنتج أن موسوليني دعا إلى الحكم الفردي والذاتي، فالفاشية لا تقبل بمبدأ المساواة بين الأفراد، لأن كل فرد مختلف عن الثاني في كل القدرات الجسدية والفكرية، لهذا وجد أن الحكم يكون خاضعا لعناصر تتوفر في الحاكم حتى يستلم زمام الأمور.

فقد استغل موسوليني الأوضاع في ذلك الوقت لكي يكون هو السيد وتكون إيطاليا هي سيدة البحر الأبيض المتوسط، فباستغلال اشتباك الدولة العثمانية في حرب ضد تحالف دول البلقان، بلغاريا واليونان والصرب وانقضت إيطاليا في عهد موسوليني شعارنا بحرنا على البحر المتوسط وشنت عدوانية على الحبشة واستولت عليها عام 1936 وتحالف الديكتاتوري الفاشي موسوليني مع الدكتاتوري النازي هتلر خلال الحرب العالمية الثانية ضد فرنسا وانجلترا وروسيا والولايات المتحدة، واتفق الديكتاتوران على اقتسام العالم: أوروبا لهتلر والشرق الأوسط لموسوليني، لكن منيا بهزيمة ساحقة قضت على نظاميهما.⁽¹⁾

تواصلت طموحات إيطاليا بمنح إيطاليا للحبشة، وكانت هواجس موسوليني تدور حول طموحات هتلر أوروبا، لذلك أرسلت إيطاليا جنودها إلى الحدود النمساوية عند هتلر بالاستيلاء على النمسا سنة 1934، وعلى الرغم من تحالف بريطانيا وفرنسا في الثلاثينيات فإن عجز كل منهما عن الموافقة على غزو موسوليني للحبشة أدى به الابتعاد عن الحلفاء والتقرب من هتلر الذي قام بالانسحاب من عصبة الأمم، وفي 1936 شكل هتلر و موسوليني محور روما برلين مما جعل ابتعاد إيطاليا عن بريطانيا وفرنسا وخسارة إيطاليا كحليف.⁽²⁾

01 - نوار عبد العزيز، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، دار الفكر العربي، الكويت 1999 م، د ط، ص 367.

02 - آلان تد، ديمقراطيات وديكتاتوريات سادت أوروبا والعالم 1919-1989، شركة الحوار الثقافي، لبنان، 2004 م، د ط، ص 85.

وعليه نستنتج أنه بالرغم من قوة إرادة موسوليني بإيصال نظام الحكم الفاشي إلى أعلى المراتب، إلا أنه لا يمكن أن يدوم الجبروت والتسلط في دولة ما مادام فيها معارضون لتوجهاته وأفكاره، فكلما قلت الحكمة في التحكم في زمام الأمور، واشتدت الرغبة في السيطرة الجنونية قل التركيز حول النقاط الأساسية للحكم مما يؤدي إلى زعزحته وانهاره.

ب- هتلر بألمانيا **ADOLF HITLER** :

كان هتلر يحذو نحو فلسفة نيتشه بحيث تحدث عنه الكاتب الصحفي الأستاذ أحمد الشنواني نحو قوله: "...ليس من كبار المفكرين والشعراء من كان له جرأة وكبرياء من الفيلسوف والشاعر الألماني فريديريك نيتشه، فقد حاول هذا الرجل أن يهدم الأخلاق والآداب المستمدة من نزعة الرحمة، وأن يشير في حماسة وشبه جنون بعقيدة القوة، وأن يؤكد أن القوة المعنوية والحسية هي رأس الفضائل وأن المجتمع الأرستقراطي القائم على تمجيد هذه القوة هو خير مجتمع يمكن أن تصدر عنه أفضل حضارة".⁽¹⁾

فقد كان مبدأ نيتشه معروف بـ"الإنسان السوبرمان" أو الإنسان المتفوق مثار جدل لمدة طويلة سواء أكانت نزعات نيتشه الفلسفية تطابق العالم المعاصر اليوم أو لا تطابقه، وعليه كان فيلسوفاً أكثر ملائمة لحاجات عصره ومطالب دولته، حيث عرف بأنه فيلسوف القوة الأول، لكن هتلر وجده قد تنازل عن فلسفته ومبدأ الإنسان السوبرمان ظناً منه أنه أصيب بالجنون في حادثة وقعت أمامه بمدينة البندقية لما رأى حوزياً يضرب حصانه الضعيف الضامر في طريق صاعد صعب فأشفق على الحصان من ثقل الحمل وأخذ يويخ الحوزي، ثم اندفع مع بعض المارة

*أدولف هتلر **ADOLF HITLER** من مواليد 20 أبريل 1889م ببلدة برادانو من أعلى النمسا العليا وبالقرب من الحدود البافارية، إذ يعود مسقط رأسه الذي يفصل سياسياً بين شعبين من الألمان إلى منبت فكره الداعي لاتحاد الشعوب الألمانية أو على الأقل الموحية إليه بهذا الفكر (القرية التي ولد بها) نحو قوله في كتابه "كفاحي": «لقد كان وجودها في هذا المكان بالذات دليل العبء الذي ألقى به القدر على عاتقي لتوحيد الشعوب الألمانية وجمع شملها»، فقد كان والده موظفاً في الحكومة وأراد أن يكون ابنه هتلر مثله إلا أن هذا الأخير أبدى نفورا من هذه الفكرة لحبه عالم الفن "الرسم" ورغبته أن يصبح فناناً، لكن ما فتى هذا الحلم أن يصبح حقيقة حتى توفي والده وهو بعمر الثالثة عشر "13" لتكفله أمه بعده مدة أربع سنوات لتلتحق بخالقتها هي الأخرى مخلقة "هتلر" يتيم الأبوين، إلى جانب يتمه عانى من الفقر والجوع الأمر الذي جعله يتخلى عن دراسته الثانوية من دون الحصول على شهادة، لينزل ساحة العمل حتى يكسب قوته، فاحتكاكه مع العمال والإحساس بالأمهم وشفائهم ومع اختلاف الأوضاع الاجتماعية للناس أخذ حصة من تفكيره في سن مبكرة، وقد كان يعطي مسائل السياسة أهمية بليغة حيث تأخذ حصة الأسد من وقته (أدولف هتلر، كفاحي"قراءة جديدة في مذكرات هتلر ونهايته"، عرض وتحليل فريد الفالوجي، دار الكتاب العربي، القاهرة 2005م، ط 1، ص135).

01-أدولف هتلر، كفاحي"قراءة جديدة في مذكرات هتلر ونهايته"، عرض وتحليل فريد الفالوجي، دار الكتاب العربي، القاهرة 2005م، ط 1، ص135.

لمساعدة الحصان الهزيل، فهذه الحادثة كشفت له هشاشة فكره وجنون فلسفته، وقضى إحدى عشر سنة يصارع في المصاحي العقلية بمدينة بال السويسرية حتى وافته المنية سنة 1900 في فايمار .

تأثر أدولف هتلر إلى حد كبير بفيلسوف القوة نيتشه، وقرأ الكثير من كتبه حتى بما ينادي به من قتل الضعفاء والمرضى الذين لا ينتجون للمجتمع إلا الشقاء، معتمدا على أسس فكرية تظهر في: (1)

❖ **العنصرية:** فقد راودت هتلر أحلام نيتشه بإنشاء جيل جديد من شباب ألمانيا يتحمل مسؤولية الأمة، معتبرا أن الجنس الآري هو أعلى الأجناس في كتابه "كفاحي"، فقد كانت له رؤية خاصة تتعلق بهذا الأمر وذلك من خلال مشروعه الذي طبقه على الأطفال القائم على رعاية النشء وتقوية أجسامه من مهام الدولة، فالطفل ينشأ منذ صغره على القوة التي يستطيع بها كما قال هتلر: "...صنع العالم الجديد". (2)

فالعرق هو كل شيء في مفهوم هتلر، ففيه تذوب كل أهمية للفرد الذي يجب أن لا تكون له أية مشاغل سوى مصلحة أبناء عرقه العامة، وعلى هذا الأساس ينكر هتلر كل قيمة خاصة للشخص الإنساني .

نخلص أن هتلر اتخذ من العرق "الجنس الآري" نموذجا لتحمل المسؤولية في مهام الدولة الألمانية، حيث بين أنه من المستحيل أن يتحكم في الدولة جنس آخر غير الجنس الآري .

01- مهدي محفوظ، اتجاهات الفكر السياسي في العصر الحديث، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، د.م.ن

2007م، ط3، ص239.

02 - مهدي محفوظ، المرجع نفسه، ص239.

❖ **الدولة ووظائفها:** تقوم الدولة بالمحافظة على نقاوة الانتماء العرقي لشعبها من جهة والعمل على الحصول على المساحات الأرضية الضرورية وحكم الجنس الآري، فقد اعتبر هتلر أن للدولة وظيفتان: على الصعيد الداخلي والخارجي. (1)

فعلى الصعيد الداخلي: على هذا الصعيد يجب أن تكون الدولة وسيلة وجهاز إداري يسيطر عليه الرئيس عبر الحزب الواحد لتمكين الشعب الألماني المتجانس في انتمائه العنصري من البقاء والتطور، وذلك من خلال:

أولاً: السهر على نقاوة العرق الآري وعلى تربية الشعب لكي يكون مطيعاً، وتنمية قوة إرادته وقدرته وعاطفته القومية.

ثانياً: حصر حق المواطنة فقط بالذين ينتمون للعرق الآري بحيث يتوجب إبعاد كل من لا ينتمي للجنس الآري عن المناصب العامة وعن ممارسة حقوق المواطنة من جهة ومنع الزواج المختلط وتطبيق تعقيم الضعفاء من جهة أخرى.

ثالثاً: تشكيل فئة مختارة من خلال البحث بين جميع أعضاء الجماعة عن أفضل العناصر ليعهد إليهم بالوظائف والمناصب العامة بصرف النظر عن انتمائهم الإجتماعي، وإلى هذه النخبة يجب أن يعهد بالقيادة والنفوذ.

01 - مهدي محفوظ، المرجع نفسه ، ص240.

أما على الصعيد الخارجي: باعتبار العرق الآري متفوقا على الأعراق الأخرى، فقد اعتقد هتلر بأن لألمانيا دورا حضاريا كبيرا في هذا العالم، فالألمان أينما كانوا هم أبناء الأمة الألمانية وعليهم أن يقدموا الولاء لها، كما أنه من الواجب ضم المناطق الأوربية التي يتواجد فيها الألمان إلى الدولة الألمانية حتى وإن كانوا يمثلون الأقليات فيها معتمدين في سياستهم الخارجية على:

- العمل على استعادة استقلال ألمانيا وسيادتها الفعلية بعد الهزيمة العسكرية في الحرب العالمية الأولى.

- إستعادة ألمانيا للأراضي التي فقدتها في عام 1919م ومنع وجود دولة عسكرية قوية على حدود ألمانيا في المستقبل حتى إذا وجدت فعلى ألمانيا تدميرها. (1)

- توسيع حدودها إلى ما وراء حدود 1914 لعدم كفايتها حاجات وأمن ألمانيا، والعمل على ضم النمسا إليها. (2)

وضح النازي هتلر نقاط معينة في هذا العنصر، متخذا من وظائف الدولة على الصعيد الداخلي والخارجي طريقة للمحافظة على نقاوة الجنس الآري، أي من دون دخول الأجناس الأخرى في الحكم.

❖ **الدعاية:** من خلال الدعاية تمكن النازية من استقطاب جماهير الشعب الألماني إلى تبني أفكارها ومعتقداتها النازية، فبعد تأثر هتلر بأساليب الفاشية حاول إعطاء دور أساسي للدعاية في خدمة النازية للوصول إلى أهدافها.

01 - مهدي محفوظ، المرجع نفسه ، ص241.

02 - مهدي محفوظ، المرجع نفسه ، ص242.

يقول الدكتور إمام عبد الفتاح: «..كان هتلر شخصية سيادية متسلطة على نحو ما كان موسولوني في إيطاليا تهدف إلى السيطرة التي لا حدود لها على الآخرين ابتداء من المحيطين به وامتدادا إلى الشعب الألماني ثم إلى العالم بأسره».⁽¹⁾

فباستطاعتنا إيجاد تعبيرات متنوعة من الرغبة السيادية العارمة في الحصول على القوة والسيطرة في كتاب هتلر "كفاحي" الذي يعرض بالتفصيل العلاقة بين الزعيم الملهم الذي يفكر للآخرين ويخطط ويوجه بين جميع أفراد المجتمع المستلمين الخاضعين، وهي علاقة يسودها ازدواج ويحتقرها في وقت واحد.

فالشخصية السيادية لا تستطيع الحياة من دون الموضوع الذي تمارس عليه سطوتها وسيطرتها، لكنها في الوقت نفسه لا تحترمه، فهتلر استمتع بالقوة والسيطرة على الجماهير الألمانية، وهذه الجماهير تعلمت الاستمتاع بالقوة والسيطرة على الأمم الأخرى للسيطرة على العالم، فالكراهية التي شكلت جوهر شخصيته إذ كان مخادع وكاذب، وقد استخدم ذلك كله في طريقه السياسي فلم يسلم من دهائه أحد حتى الشعب أعد للحرب العالمية الثانية، فالخطب الحماسية الواحدة تلو الأخرى كلها تثير النفوس مدعيا أن السلام قتل لألمانيا على البارد.

وفي المعاهدة السرية التي وقع معاهدة الحياد مع دكتاتور روسيا "جوزيف ستالين" لكنه لم يتحلى وعده وهاجم روسيا إلى جانب الزعيم العام السياسي والعسكري لألمانيا "الفوهرر"، فمع سقوط ألمانيا وانتهاء الحرب العالمية الثانية أدانت المحكمة مجرمي الحرب لسنتي (1945-1946).

01- أدولف هتلر، المصدر نفسه، ص136

والواقع أن الطابع العسكري وفكرة وحدة الشعب الألماني كله ومعاداة السامية ومبدأ الجنس الذي له الأفضلية عن غيره من الأجناس وتقديس الدولة كانت لها مظاهر بارزة في الحزب النازي، وكانت كذلك عميقة الجذور في كيان التاريخ الألماني ويمكن أن يكون النازيون قد استغلها في غاية ما. (1)

وكتب هتلر عن هذا: "...أن بعث الشعب الألماني لا يتم إلا عن طريق استعادته لقوته الخارجية، ولكن ليست الأسلحة هي الوسائل التي تحقق هذا على ما كان سياساتنا البرجوازية يقولون دائماً بل وسيلة هذا هي قوة الإرادة أن أحسن الأسلحة تكون معدومة القيمة المادية ما بقيت تتقصنا الرغبة والإرادة لاستعمال هذه الأسلحة"، ولهذا "فإنه ربما لا تكون مسألة استعادة ألمانيا لقوتها متوقفة على كيف نستطيع أن نصنع الأسلحة بل نتوقف على كيف نستطيع إيجاد الروح التي تعاون الشعب لحمل هذه الأسلحة". (2)

ولقد نتج عن حرب هتلر القاسية ضد الشعوب الأوروبية وقوع نحو خمسين مليون قتيل ، فنتائجها الكارثية دلت على الهمجية التي سادت آنذاك النازية الهتلرية التي شكلت مذبحه كان اليهود من الضحايا الرئيسيين. (3)

ولعل من المفيد القول أن مجموع المجازر وما تلاها من استمرار القتل والبطش بالفلسطينيين أكبر من المحرقة النازية لليهود وما كانت لتتكرر مهما كانت المبررات ،فإسرائيل تضم إلى جانب المتشددين تضم روادا للسلام لتمثلها في بعض زعماء إسرائيل وجماعاتها وجماعة طوري كارتا التي تعتبر فلسطينية الهوية والهوية، وتتكبر وجود دولة اليهود، وكذلك ما تقوم به

1- أدولف هتلر ، المصدر نفسه، ص182 .

2- إدوارد ميديرل، رواد الإستراتيجية الحديثة، تر محمد عبد الفتاح إبراهيم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1962 م، د.ط، ص ص 447-448.

3- محمد أبو سمرة، المحرقة النازية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، د.س.ن، ط1، ص ص 172.

حركة السلام الآن الإسرائيلية من مطلب تحقيق السلام العادل، فالشعب اليهودي تعرض للمحرقة النازية الألمانية وهاهو الشعب الفلسطيني يتعرض لمحرقة يهودية ضده. (1)

ولظهور هتلر كشخصية ذات أهمية كبيرة في هذه الفترة وعلى النازيين بصفة خاصة ، حيث أثر كثيرا على الشؤون الدولية خلال الفترة ما بين 1933/1937، حيث ظل حتى سنة 1934 مهتما بتروسيخ الهيمنة الداخلية. (2)

وقد بدأ بسرعة في أعقاب ذلك بإتباع سياسة خارجية أكثر عدوانية، الأمر الذي أخرج ألمانيا من مؤتمر نزع السلاح وعصبة الأمم، حيث كانت سياسته في البداية حذرة بالضرورة، ولم تكن أهدافه أوسع مما كان يصرح به السابقون من رجال الدولة الألمان بمن فيهم **كوستاف سترسمان Gustav Stresemann** ففي مؤتمر نزع الأسلحة الذي انعقد في أكتوبر 1933 شدد هتلر على رغبة ألمانيا بالسلام، واقترح أن تتزع جميع الدول أسلحتها وصولاً إلى مستوى الألماني، أو يسمح لألمانيا بالتسلح وصولاً إلى مستوى الدول الأخرى، فقد وقع هتلر عدة معاهدات لكنه لم يتقيد بها فكانت عبارة عن سياسة يستعملها ليتجنب الإتحاد السوفياتي **soviet. Union** الذي يعرقل هتلر من الوصول إلى السلطة، وعليه بدأ بخرق المعاهدات التي لم تكن ملتزمة بالشروط العسكرية وبدأ بعملية إعادة التسلح وإنشاء قوة عسكرية كبيرة. وجهت انتقادات عديدة لهذه السياسة طوال سنوات إذ اعتقد الكثيرون أنها شجعت هتلر على التماهي في سياسته العدوانية، وكانت بذلك عنصراً هاماً ساهم في اندلاع الحرب العالمية الثانية. ومع ذلك فإن عدداً من المعاصرين رأوا فيها السياسة العملية الوحيدة من أجل تفادي وقوع حرب أخرى، على الرغم من أن البعض مثل تشرشل أبو السياسة

1- محمد أبو سمرة، المرجع نفسه، ص ص 174.

2- ألان ند، ديمقراطيات وديكتاتوريات سادت أوروبا والعالم 1919-1989، شركة الحوار الثقافي، لبنان 2004م، د.ط، ص 78.

البديلة في تشكيل تحالف كبير مضاد للفاشية وجد أن الإتحاد السوفيتي هو الدولة الأوربية القادرة على مقاومة ألمانيا النازية.⁽¹⁾

❖ **التربية:** أصر هتلر على تربية شباب ألمانيا على العلم الشرير والقوة الغاشمة والتربية العدوانية، حتى مع الفتيات كان يطالب أن يكن قويات في صحة وعافية لسبب واحد وهو الإتيان بمحاربين ألمان جدد للعالم، وعلى إثر هذا الفكر كون حزبا نازيا أثرت خطاباته على نفوس الحاضرين بحيث استخلص منه أن بالعنف والقوة يتم إعادة بناء الدولة الألمانية ذات الجنس الآري النقي إيمانا بقدسية القضية التي ندب نفسه لخدمتها، حيث اتخذ كل الوسائل لمواجهة الإرهاب الشيوعي والماركسية وسيطرة اليهود.

أفكار هتلر عن السياسة الخارجية في كتابه كفاحي تبين انه توقف التحرك الألماني نهائيا نحو الجنوب والغرب ليتحول النظر إلى أرض الشرق، وبعد فترة طويلة نبتعد عن سياسة ما قبل الحرب الاستعمارية والتجارية مرورا إلى سياسة أرض المستقبل، وإذا تحدثنا عن الأرض في أوروبا المعاصرة فباستطاعتنا من حيث الأساس ألا يكون في ذهننا سوى روسيا ودولها الحدودية الذليلة.

منذ بداية 1930م أشار هتلر في خطاب له في نيرنبرغ إلى الفرصة الحقيقية للمعارضة: "...عندما نستلم الحكم أيها الرفاق ستتاح الفرصة لكل واحد منكم للانتقام، وستطلق أذرعكم القوية حرة لشعب غليلها مما عانيتموه في الماضي، ولكن عليكم أن تتحملوا كل شيء حتى ذلك الحين...."، حيث ردد مرات عدة في خطبه عزمه على البقاء في الحكم بأي ثمن.⁽²⁾ فالجديد في الأمر هو أن طابع الإرهاب أصبح رسميا وملكيا بعد أن نصب هتلر وأصبح الحزب النازي حزب الحكومة، فلم يكتف هتلر بأجهزة الأمن القائمة بل سارع هو وقيادات الحزب إلى دمج ميليشيات الحزب في أجهزة الأمن القائمة، فأقيم جهاز الشرطة غير الرسمية في مدن

01- آلان تد، المرجع نفسه، ص 79.

02- أدولف هتلر، المصدر نفسه، ص 136.

مختلفة في ألمانيا بنسب مختلفة من ميليشيات الدفاع (SS - sa -stahlhelm) فمن جهة نظر هتلر وقيادات الحزب النازي فإن أعدائهم كانوا حقيقيين وهم الشيوعيون الاشتراكيون بصفة عامة واليهود بصفة خاصة، ولو لم يكونوا موجودين لأوجد هتلر وقيادات الحزب أعداء لتوطيد سلطتهم على الأقل، ووجه عدة حملات ضد اليهود وقام بإعلان مقاطعة ضد اليهود كردة فعل على حركة المقاطعة.

واعتماد هتلر دعوة قادة الحكم في مناسبات كثيرة وإصدار حكمه شفها في أغلب الأحيان خلافا لعرف أنظمة الحكم الديكتاتورية.⁽¹⁾

01- عبد الرحمن عبد الغني، ألمانيا النازية وفلسطين 1932-1945، مؤسسات للدراسات الفلسطينية، بيروت، 1995م، ط1، ص ص 08-10.

ففي الأخير نستنتج أن نظام الدكتاتوريتين "الفاشية والنازية" يتصف بشدة تركيز السلطة في يد الديكتاتور وشدة تنظيم الحياة الاجتماعية في الدولتين لتتناسق مع إدارة الدكتاتور، وكلاهما غالباً في ترويج النعرة الوطنية، وعليه نجد بعض مزايا الدكتاتورية التي:

➤ تؤكد على السيادة المطلقة للدولة متمركزة في شخص الدكتاتور فوق أي فرد أو جماعة في المجتمع، وعلى تقديس الدكتاتور تقريبا.

➤ غالت الدكتاتورية في ترويج النعرة الوطنية.

➤ مناداة الديكتاتوريتان بإحياء عظمة الماضي، فموسوليني حاول إحياء عظمة روما ، وهتلر سمى دولته "الرايخ الثالث على اعتبار الرايخ الأول يشير إلى عهد شارلمان العظيم في القرون الوسطى، والرايخ الثاني يشير لعهد بسمارك ووحدة ألمانيا الكبرى عام 1871م، فدولة الرايخ الثالث التي أسماها هتلر قال أنها ستدوم ألف عام. (1)

➤ روج هتلر للعنصرية وعمل بها، فالألمان حسبهم هم الآريون خير الدنيا ولهم الحق في حكم العالم وحتى محو الشعوب المنحطة والأقل جدارة بالعيش من غير الآرية، فقد انعدى موسوليني بعض الشيء من هتلر في معاملته لأهل الحبشة حين احتلت إيطاليا الحبشة عام 1935م.

➤ كلا النظامين حاربا الكنيسة وحاول أن يطوعها كلياً لسيادة الدولة، وكان هتلر أنجح من موسوليني في هذا على اعتبار ألمانيا كانت مقسمة دينياً بين بروتستانت وكاثوليك، بينما إيطاليا هي معقل الكاثوليكية ومقر البابا وأهلها كلهم كاثوليك، وفي النهاية كان من الصعب على موسوليني إخضاع الكنيسة كلياً لسلطته.

➤ كلاهما روج فلسفياً فقط وليس عملياً، وروجا لمذهب المنافسة. (2)

➤ كلاهما انتهج نهج التعاضد الثلاثي بين العمال من جهة، ورأس المال من جهة أخرى، والدولة، فالكل يتعامل بتناسق من أجل عظمة الأمة والدولة.

01- فايز صالح أبو جابر، الفكر السياسي الحديث "الموسوعة السياسية العالمية"، دار الجيل، بيروت، 1985م، د.ط، ص 257.

02- فايز صالح أبو جابر، المرجع نفسه، ص 258.

- عملت الدولتان بطريقتهما الخاصة من أجل توفير المعيشة ورفاهيتها للجميع وتأكدت من هذا بالتدخل المكثف في أمور العمال وأمور أهل الصناعات ورؤوس الأموال أيضا واستعملتا العنف ضد من خالف تدخلها، ولقد سمى هتلر حزبه ودولته "اشتراكية وطنية" ومختصر الكلمتين في اللغة الألمانية هي كلمة "نازي".
- اعتقدت الدكتاتوريتان فلسفيا وعمليا باستعمال الحرب المتوصل إلى أهدافهما، والحرب أمر مشرف يخلق البطولات ويرفع معنويات الأمة.
- احتقرت الدكتاتوريتان فلسفيا وعمليا النظام الديمقراطي والديمقراطية، إذ نظرنا للديمقراطية على أنها مجرد تدجيل على الشعب وما هي إلا مظاهر توحى له بأن كلمة في السلطة على أساس أن السلطة تتجسد في عدد بسيط من الناس يحكمون ولكن لصالحهم وليس لصالح الأمة كما هو الأمر في نظامهما.⁽¹⁾
- فهذه الأفكار الدكتاتورية الغربية الحديثة هي عبارة عن خلاصة أفكار أوروبية غرضها السيطرة والتمركز في الأماكن ذات الثروات.

01- فايز صالح أبو جابر، المرجع نفسه، ص 259.

المبحث الثاني: الميكافيلية العربية المعاصرة

تأثير الفكر الميكافيلي على العرب يظهر في شخصية ديكتاتورية قوية وبارزة تتمثل في القائد جمال عبد الناصر بجمهورية مصر والقائد الليبي معمر القذافي بليبيا.

كان جمال عبد الناصر هو المرجع الفعلي في ممارسة كافة السلطات وأصبح حاكماً مستبدًا، وفي مطلع القرن العشرين شعار "لا ينهض بالشرق إلا مستبد عادل"، ففكرة الاستبداد لم تكن مقرونة كما هي اليوم بالقهر والتسلط، كانت توحى إلى الأذهان برموز قريبة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي ذهب به الاستبداد العادل إلى حد حرمان المؤلفات قلوبهم من نصيب الفياء "الغنيمة" تقرر لهم بنص القرآن الكريم وإلى حد معنى الملكية الخاصة لأرض السواد "العراق" بحجة اجتهادية أنها ملك الأجيال المتعاقبة بين المسلمين، فلا يمتلك رقبتهما جيل الفاتحين ولم يأخذها في شأنها سابقة توزيع أرض الطائف وتلك المعاني لاستبداد العباد بعيدة أشد البعد عن المعاني التي علمناها من الفاشية والنازية، فحتى ليبيا لم تسلم من الديكتاتورية الذي ظهرت في شكل شخصية معمر القذافي.

أ- جمال عبد الناصر في مصر DJAMEL.ABDEL-NASSER *

اقترن والد جمال في عام 1917 بكريمة التاجر محمد حماد وأقام في المنزل رقم 18 بشارع الدكة قنواتي في حي باكوس.⁽²⁾

ميلاد جمال كان قبيل ثورة 1919 التي هزت مصر وحركت وجدان المصريين وألهبت مشاعر الثورة والوطنية في قلوبهم وبعث روح المقاومة ضد المستعمرين، إنه ابن لأسرة من قرية بني مر بالقرب من أسيوط ويبدو من اسم القرية أن العرب قد عاشوا في المنطقة مئات السنين فأجداده كانوا من الفلاحين حيث يمتلكون بعض الأفدنة من الأرض، أما والده فبعد أن تلقى تعليمه في المدرسة القرآنية الخاصة بالقرية قد استطاع أن يحقق أمنية عامة بالريف وهي أن يصبح موظفا بالحكومة.⁽³⁾ ولم يكد يبلغ الثامنة من عمره حتى توفيت أمه في 18 رمضان 1344 هـ، الموافق لـ 02 أبريل 1926، وهي تضع مولودها الرابع "شوقي" بعد إخوته "الليثي" و"عزة العرب" ليتزوج والد عبد الناصر من السيدة "عنايات مصطفى" في مدينة السويس وذلك سنة 1933م، ثم ما لبث أن تم نقله إلى القاهرة ليصبح مأمورا للبريد في حي الخرنفش بين الأزبكية والعباسية، حيث استأجر بيتا يمتلكه أحد اليهود المصريين.⁽⁴⁾

* ولد جمال عبد الناصر DJAMEL.ABDEL-NASSER في ضواحي مدينة الإسكندرية" 15 يناير 1918-28 سبتمبر 1970"، كان الابن الأول لوالده عبد الناصر حسين الذي كان يبلغ حينئذ الثلاثين من العمر وكان قد انتقل من قريته بني مر بمحافظة أسيوط ليعمل وكيلا لمكتب بريد باكوس بالإسكندرية(سعيد أبو الريش، جمال عبد الناصر آخر العرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005، ط1، ص21).

01- أبو عيشة، عبد الفتاح، موسوعة القادة السياسيين عرب وأجانب، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2002، ط1، ص74

02- جبران عيسى، أعظم الشخصيات في التاريخ، دار الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2008، ط1، ص364.

03- الحسن عيسى، أعظم شخصيات التاريخ، دار الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 2010، ط1، ص196

انتقل جمال مع إخوته للعيش مع أبيهم بعد أن تم نقل عمه خليل إلى إحدى القرى بالمحلة الكبرى وفي ذلك الوقت كان طالبا في الصف الأول الثانوي وكان عمه "خليل" الذي يعمل موظفا بالأوقاف في القاهرة متزوجا منذ فترة، ولكنه لم يرزق بأبناء فوجد في أبناء أخيه أبوته المفترقة فأخذهم معه إلى القاهرة بعد وفاة أمهم.⁽¹⁾

وقد ألحقه عمه بمدرسة النحاسين الابتدائية التي قضى بها ثلاث سنوات أنهى فيها السنة الثالثة الابتدائية صيف عام 1928 ، ويروى أن جمال عبد الناصر وهو في الثامنة من عمره كان أطول قامة من رفاقه، قوي البنية يتحلى بالرزانة ويأنس بالوحدة كثيرا ويشرد باله أحيانا. وفي خلال السنة الدراسية 1929-1930 عاد جمال إلى الإسكندرية حيث لحق به والده الذي انتقل إلى هناك مرة أخرى، وعاد جمال إلى المنزل العائلي أين وجد زوجة أبيه الجديدة التي أنجبت بعد ذلك ثمانية أولاد، وتلك كانت الفترة التي اشترك فيها جمال في المظاهرات الصاخبة التي سارت في شوارع الإسكندرية وتعرض لضربات رجال الشرطة.

فمنذ ذلك الوقت بدأ اشتغاله بالسياسة وقد كلفه ذلك تأخره عن تأدية امتحان آخر العام وذلك بمدرسة رأس التين الثانوية، وفي هذه الأوقات تفاقمت الأوضاع السياسية في مصر بعد أن تولى إسماعيل صدقي رئاسة الوزارة في 19/06/1930 حيث استصدر أمرا بحل البرلمان وتعطيل دستور 1923 الذي استبدل به دستور 1930 وخرج الشباب في مظاهرات طلاب اخترقت شوارع القاهرة والإسكندرية حيث انضم إليها جمال عبد الناصر.⁽²⁾

01- الحسن عيسى، أعظم شخصيات التاريخ، دار الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن ، 2010 م، ط1، ص196

02- جاك رومال وماري لورا، جمال عبد الناصر من حصار القلوجة حتى الإستقالة المستحيلة، نق: جنبلاط كمال، تر: نشاطي ريمون، دار الآداب، بيروت، 1979م، ط5، ص47 .

ترك جمال مدرسة رأس التين إلى المدرسة الفريديية حيث قضى سنتين، ولما انتقل والده إلى القاهرة في سنة 1933 ألحقه بمدرسة النهضة الثانوية بحي الظاهر، وانتقلت الأسرة الشعرية القديم ذي الحارات الشعبية الضيقة المتعرجة.⁽¹⁾

ففي سنة 1936 أتم جمال عبد الناصر دراسته الثانوية في القسم الأدبي و حصل على التوجيهية، ثم تقدم للالتحاق بالكلية الحربية ونجح في الكشف الطبي إلا أنه رسب في كشف الهيئة، و كان لابد من واسطة تزكي جمال عبد الناصر في كشف الهيئة و كان عمه خليل حسين يعرف أحد باشاوات مصر في بني سويف، وقد استحبه عمه لمقابلة الباشا في قصره ببني سويف ووعده الباشا خيرا.⁽²⁾

ومن هنا نجد أن التكوين العلمي والثقافي لجمال عبد الناصر مر بثلاث مراحل: المرحلة الأولى وهي مرحلة الدراسة الثانوية، والمرحلة الثانية وهي مرحلة الدراسة في الكلية الحربية، والمرحلة الثالثة وهي مرحلة الخدمة في القوات المسلحة.⁽³⁾

طالع جمال عبد الناصر الكتب باللغتين العربية والإنجليزية بتعمق ونهم شديد، إذ يمكن حصر أهم المؤلفين المساهمين في تفتح عقله وتغذية ذهنه في كتاب العرب من خلال مؤلفاتهم تاريخ الإسلام والعرب مثل كتاب "المدافعون عن الإسلام" ثم "طبائع الاستبداد" للكاتب السوري عبد الرحمان الكواكبي الذي انتقد فيه نظام الحكم الاستبدادي التركي.⁽⁴⁾

01- السيد عاطف، عبد الناصر وأزمة الديمقراطية، فلمنج للطباعة، الإسكندرية، 2001م، د.ط، ص ص 12-13.

02- جورج فوشيه، جمال عبد الناصر وصحبه، دار المعارف، القاهرة، 1960م، د.ط، ص 227.

03- جورج فوشيه، المرجع نفسه، ص 68.

04- السيد عاطف، المرجع نفسه، ص 19.

تأثر بها جمال . . . كتاب " أم القرى " للمؤلف مجهول وقد تصور ذلك المؤلف اجتماع مؤتمر في مكة مثلت فيه الشعوب الإسلامية جميعا، وحاول الحاضرون تحديد الأسباب التي دفعت الشرق إلى التخلف وكيف يمكنه التخلص من عيوبه، و كتاب أحمد أمين عن مجدي الإسلام جمال الدين الأفغاني ، و كتاب " أعلام المسلمين " للشيخ محمد عبده. (1)

كما قرأ جمال لأحد الكتاب الفرنسيين كتابا يتناول سير أعلام فرنسا، وتركز اهتمامه بصفة خاصة على " جان جاك روسو " و " فولتير " وقد بلغ اهتمامه بفولتير شأنًا كبيرًا لدرجة أنه كتب مقالا بعنوان " فولتير رجل الحرية " في مجلة مدرسة النهضة، وكان أكثر ما أعجبه في فولتير ثورته على فساد الحكم وعلى الروتين والكنيسة ، وكانت قصة " البؤساء " لفكتور هوجر إحدى القصص الفرنسية التي رآها جمال معربة حيث كانت ضمن المنهج الدراسي، كما شغف بقراءة سيرة نابليون بونابرت وغاندي و الإسكندر الأكبر ويوليوس قيصر. (2)

علي الغياي مؤلف كتاب " وطنيتي " وتوفيق الحكيم الذي أسهم بدور كبير في التكوين الفكري لجمال عبد الناصر وبخاصة من خلال رؤيته " عودة الروح " التي تروي قصة نهضة مصر. (3) ولقد تأثر عبد الناصر بنظرية كروز عن الصراع بوصفه عملية اجتماعية ضرورية لفهم طبيعة البناء الاجتماعي واعتبره نضالا وكفاحا حول القيم والأمكنة ومصادر القوة وزاد تأثر هذا خاصة في مرحلة الدراسة الثانوية (4).

01- هيكل محمد حسنين ، عبد الناصر والمتفقون والثقافة، دار الشروق، القاهرة، د.ط، ص 98 .

02- رمضان عبد العظيم، هيكل والكهف الناصري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995 م، ط 1، ص 13.

03 - جورج فوشيه، جمال عبد الناصر وصحبه، دار المعارف، القاهرة، 1960م، د.ط، ص 68 .

04 - جورج المصري، ناصرية الناصرية الغائبة، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 1998 م، ط 1، ص 40.

أما في مرحلة الخدمة بالقوات المسلحة أنتدب جمال عبد الناصر وهو برتبة اليوزباشي مدرسا في الكلية الحربية في الفترة من "1942-1946"، حيث أتيح له أن يطلع على كتب أخرى في التاريخ والإستراتيجية، فهذا الاطلاع على الكتب كلها وتقلده العديد من المناصب في ظرف وجيز ووصوله إلى أعلى درجاتها واتصافه بالانعزالية في بعض الأحيان أمر سمح بتكوين وعيه القومي السياسي والاجتماعي والثقافي والذي ارتكز دائما على البحث عن الزعامة والسلطة والفردية في الحكم.⁽¹⁾

فالواقع أن الإستبداد بقيادة الثورة بالسلطة ، بداية عام 1953 ليس إلا نقطة انطلاق إلى اتجاهات متناقضة وكلها محتملة إلى مجرد الإستلاء على السلطة لترتد الثورة انقلابا أو الى تسخير السلطة لتحرير الشعب من القهر "اخضاع الأقلية للأغلبية" أي الديمقراطية.

وهكذا يكون الاستبداد بالسلطة ابتداء مثل الحكم على الثورة ذاتها، وابتداء رجل الدولة "الحكيم" من الصفر ولكن بمقياس القيادة والزعامة والثورة . كان عبد الناصر يلبي نداء جماهير أمته ويقودها على الطريق "الأصلح، لا مفاوضة ولا اعتراف" ولقد اختار عبد الناصر الطريق الذي لا يختاره إلا الأبطال.⁽²⁾

01 - السيد عاطف، عبد الناصر وأزمة الديمقراطية، فلمنج للطباعة ،الإسكندرية، 2001 م، د.ط، ص20.

02 - عصمت سيف الدولة، هل كان عبد الناصر ديكتاتوريا؟، بيروت، 1977م، ط1، ص ص 156-167.

ولما استولى الضباط الأحرار على السلطة قام بتأييد أعمالهم كوسيلة للتخلص من القهر الأجنبي والداخلي الذي دام عدة قرون، وهذا الأمر كان متاحا للدكتاتورية العسكرية، غير أن العمليات المضادة للدكتاتورية العسكرية كانت تتم ضدها وتناهضها ويتضح ذلك من خلال خطب الرئيس عبد الناصر مثل: ما أعلنه في 02 ماي 1965م نحو قوله:..إن التناقضات التي اصطدمنا بها في التحول من المجتمع الرجعي الرأسمالي إلى المجتمع الإشتراكي تتطلب من الإقتران من جماهير الشعب، لقد حانت الساعة التي يجب أن تعتمد على وعي الشعب وليس على تدخل الحكومة"، وكان هذا الظهور متوجها لمحاولات إنشاء منظمات حزبية جماهيرية، ففور تولي الضباط الأحرار السلطة ظهرت أول هذه المنظمات تحت اسم هيئة التحرير التي أنشأها مجلس قيادة الثورة في 23 يناير 1953 تحت شعار "الإتحاد والنظام والعمل...".⁽¹⁾

فقد كانت مصر تبحث عن رجل دكتاتوري "فليس من رجالها من لديه المؤهلات اللازمة للدكتاتورية والتي يدفعها إلى الأمام ولا يشدها إلى الخلف"، فكان عبد الناصر هو المثل الأعلى حيث قال: "ديكتاتورية للشعب لا عليه، ديكتاتورا للحرية لا عليها".

01 - إيفوار بيليايف، مصر في عهد عبد الناصر، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1975م، ط1، صص 150-151.

أ- معمر القذافي MOUAMMAR.KADHAFI:

تعد فترة حكمه الأطول في تاريخ ليبيا منذ أصبحت ولاية عثمانية سنة 1551م (42 سنة) وهي أطول فترة حكم لحاكم غير ملكي في التاريخ، بدأ حكمه بانقلاب عسكري على الملكية سماه بثورة الفاتح من سبتمبر عندما كان ملازما في الجيش الليبي وذلك في 01-09-1969، وأطاح من خلاله بحكم الملك إدريس الأول، وكان يطلق على نفسه لقب قائد الثورة، كما عرف بلقب "العقيد القذافي"، أطلق على نظام حكمه باسم الجماهيرية عام 1977م، وكان في ذلك الوقت يشغل منصب القائد الأعلى للقوات المسلحة منذ سنة 1969، شغل منصب رئيس مجلس قيادة الثورة في الفترة (1969 م - 1977 م).¹

يعد القذافي واحدا من القادة العرب الذين أتوا للحكم في النصف الثاني من القرن العشرين في عصر القومية العربية وجلاء الدول الاستعمارية عن الوطن العربي، فاتخذ في بادئ الأمر الخط القومي العربي وحاول إعلان الوحدة مع تونس كما حدث بين مصر وسوريا، إلا أن محاولاته باءت بالفشل، فتحول مشروعه القومي إلى مشروع إفريقي، سمي نفسه ملك ملوك إفريقيا، أثارت أفكاره الكثير من الجدل والإستهجان من قبل الكثير داخل وخارج ليبيا خاصة بعد استفراجه بالقرار في البلاد لمدة تزيد عن أربعة "04" عقود.

* هو معمر محمد عبد السلام أبو منيار القذافي MOUAMMAR.KADHAFI، ولد في "07 يونيو 1942" في قرية اسمها جهنم بالقرب من شعيب الكراعية في وادي جارف بمنطقة سرت بجنوب ليبيا، تربي في صحرائها، قرأ كثيرا عن سيرة وحياة الأمة من خلال تأثره الشديد بالرئيس المصري "جمال عبد الناصر"، وأصبح زعيم الطلاب وهو في الرابعة عشر من عمره، طرد القذافي في عام 1961م من المدرسة بسبب تنظيمه مظاهرات ضد تفكك الروابط بين مصر وسوريا، حكم ليبيا منذ عام 1969م، وهو في عمره 27 سنة حتى 2011 يوم أطيح بحكمه (ويكيبيديا) 01- ويكيبيديا الموسوعة الحرة، يوم 2017/05/02 على الساعة 16:46.

تظهر أفكاره من خلال طرحه لنظرية سياسية في الحكم تقوم على سلطة الشعب عن طريق الديمقراطية المباشرة من خلال المؤتمرات الشعبية الأساسية كأداة للتشريع واللجان الشعبية كأداة للتنفيذ، يقدم شرحاً وفيها عنها في الكتاب الأخضر الذي ألفه في السبعينيات من القرن العشرين، إذ يحتوي على نظرية تطرح الاشتراكية بصورة لم تظهر من قبل، وطرحاً للركن الاجتماعي لهذه النظرية التي تعرف بالنظرية العالمية الثالثة، تمييزاً عن سابقتها الرأسمالية والماركسية.

وله آراء في القضايا الدولية وقضايا البيئة، وأفكار شملت مشكلة الشرق الأوسط "حول الصراع الفلسطيني وإسرائيل" الذي ظهر في الكتاب الأبيض بإقامة دولة مندمجة بينهما تدعى "إسرائيلين"، يورد آراء وتصورات العرب ويهود وساسة من الغرب، ومشاريع دولية تزكي الحل الذي اقترحه في الكتاب الأبيض حول إقامة هذه الدولة "إسرائيلين".⁽¹⁾

تظهر علاقة القذافي كالاتي :

- 1) مع العرب من خلال علاقته مع جمال عبد الناصر الداعية للوحدة العربية، وتحمسه للوحدة الإندماجية مع جيرانه من العرب مثل مصر وتونس ولكنها فشلت.
- 2) في إفريقيا نجد أن ليبيا حاولت تليبين موقف أمريكا بشأن قضية "لوركيبي"* من خلال اتخاذ قرار في قمة واجادوجو"الرؤساء دول وحكومات منظمة الوحدة الإفريقية بكسر الحضر المفروض في مجلس الأمن الدولي على ليبيا بحلول شهر سبتمبر من نفس العام الذي عقدت فيه القمة ما لم تستجب الدولتان للشروط الليبية.
- 3) في عام 1999م أسس القذافي تجمع دول الساحل والصحراء الذي يضم الآن 23 دولة في عضويته وطور منظمة الوحدة الإفريقية وحولها إلى الإتحاد الإفريقي في قمة سرت للقادة الأفارقة 09-09-1999م وسعى لقيام الولايات المتحدة الإفريقية.
- 4) كانت علاقة القذافي مع الغرب متوترة ،حيث بدأت بالصدام بسبب تصريحاته ومواقفه ونشاطاته التي تعتبرها القوى الغربية معادية لها وداعمة للإرهاب الدولي، ووصل التوتر لذروته عندما تم قصف مقره صيف 1986م من طرف الطائرات الأمريكية لكنه نجا.
- 5) تم اتهام ليبيا بقيامها بتدبير سقوط طائرة شركة الخطوط الجوية الأمريكية من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا أدى بحصار الو.م.أ لليبيا عام 1992م.
- 6) تم تعزيز العلاقة بالغرب بعد فك القذافي للبرنامج النووي وتسليم جميع الوثائق والمعدات والمعلومات للو.م.أ، مما أدى إلى رفع العقوبات المفروضة على ليبيا للسياسة الجديدة القذافي. (1)

01 - المرجع نفسه.

*قضية لوركيبي:من أخطر التحديات التي واجهها معمر القذافي،حيث استطاع الغرب الحصول على قرار من مجلس الأمن الدولي يلزم ليبيا تسليم اثنين من مواطنيها مشتبه في تورطهما في حادث الطائرة،مما شكل ضغطا على ليبيا(ويكيبيديا).

لكن حكم القذافي في القرن العشرين لم يعرف ذلك الإنغلاق الذي كان يسوده من قبل لاندلاع ثورة بلبيبا سنة 2011م، إذ يشير البعض لها باسم الحرب الأهلية الليبية، وهي ثورة اندلعت وتحولت إلى نزاع مسلح دام لفترة معينة أدت بسقوط حكمه.⁽¹⁾

ومن هنا نستنتج أن جبروتية القائد الليبي ومعمر القذافي التي دامت أربعة عقود جعلت من الأمر والنهي، مبينا في ذلك مختلف القرارات التي أودت بسقوط حكمه نتيجة رفض الشعب لأفكاره الغير منطقية أحيانا.

وعليه نجد أن كل من القادة الأربع السابق ذكرهم اعتمدوا على أفكار ميكافيلي الداعية إلى إيجاد حاكم قوي يسعى لتطبيق الديمقراطية الحقة، وهذا من خلال الإعتماد على الأسلوب الدكتاتوري في الحكم.

المبحث الثالث: استشرافات لأفكار مكيافيلي

أ- آراءه وأفكاره:

- وانتهى مكيافيلي إلى رأي في السياسة يتلخص بالعبارة: " الغاية تبرر الوسيلة "، مهما كانت هذه الوسيلة منافية للدين والأخلاق، وقد استند في رأيه هذا إلى الواقع المنحرف للأكثرية من الناس، لا إلى مبادئ الحق والعدل والخير والفضيلة.
- رأى أن أكثر الحكام لم يكونوا شرعيين، ولم يكونوا ملتزمين بالمبادئ الأخلاقية الفاضلة، وبذلك استطاعوا أن يصلوا إلى الحكم، وأن يضمنوا استقرار الحكم في أيديهم بخلاف الحكام الشرعيين الذين كانوا يلتزمون بالمبادئ الأخلاقية الفاضلة المستندة إلى الحق والعدل والخير، فإنهم لم يحققوا لأنفسهم النجاح المطلوب، ولا المحافظة على الحكم، كمحافظة الساسة الخائنين الغدارين المرئيين المنافقين الكذابين.
- حتى الباباوات فقد رأى أنهم قد كانوا في الكثير من الحالات يضمنون الانتخاب لأنفسهم بوسائل فاسدة، لا تتفق مع الفضائل الخلقية.
- وأنكر «مكيافيلي» في كتابه (الأمير) بصراحة تامة الأخلاق المعترف بصحتها، فيما يختص بسلوك الحكام، فالحاكم يهلك إذا كان سلوكه متقيداً دائماً بالأخلاق الفاضلة، لذلك يجب أن يكون مأكراً مكر الذئب، ضارياً ضراوة الأسد.
- ففي الفصل الثامن من كتابه «الأمير» ذكر أنه ينبغي للأمير أن يحافظ على العهد حين يعود ذلك عليه بالفائدة فقط، أما إذا كانت المحافظة على العهد لا تعود عليه بالفائدة فيجب عليه حينئذ أن يكون غداراً. (1)

لكنه يرى في ذات الوقت أنه من الضروري أن يكون الأمير قادراً على إخفاء هذه الشخصية، وأن يكون داعياً كبيراً، ومرئياً عظيماً، والناس كثيراً ما يصلون في السذاجة إلى الحد الذي يجعلهم ينخدعون بمثل هذا الادعاء كثيراً.

فآراء «مكيا فيلي» في تبرير الوسائل المنافية لفضائل الأخلاق تدور حول السياسة، وأخلاق الحكام، ونزوي السلطة فقد أخذ معظم أرباب السياسة في الشرق والغرب، بهذا الاتجاه الميكيا فيلي وفق أقصى صورته المنحرفة. (1)

ولاشك أن هذا الاتجاه المنحرف الشاذ، المعاكس لاتجاه الكمال الإنساني، إذا أخذ على إطلاقه هو طريق كل المنحرفين الظالمين المجرمين المفسدين في الأرض، قبل مكيا فيلي وبعده في السياسة وفي غيرها.

ب- الانتقادات:

وجهت انتقادات عنيفة لأراء مكيافيلي كونها تخطت قواعد الأخلاق والفضائل المسيحية ولأنه حول الجماهير لأداة تنفيذ غايات الحكام، إلا أن ما يبخل له أنه وضع هذه الأفكار لتلائم مع الواقع الذي عاصره في أكثر بلدان أوربا⁽¹⁾، حيث يتوجه الرد على أفكار "مكيافيلي" في جوانب:

الجانب الأول:

يرجع الخطأ في الفكرة الباطلة التي انتهى إليها « مكيافيلي » في السياسة إلى اعتبار النسبة الغالبة من السلوك الإنساني هي المقياس الذي يبرر به السلوك، وإلى إهمال جانب الحق والعدل والخير، وإغضاء النظر عن الشر الذي يشتمل عليه السلوك، وإلى اعتبار سلوك الناس ذوي المشاعر والآلام والحقوق المساوية لحقوق صاحب السلوك، كسلوكه مع الأشياء غير ذات الحياة، مع أن الواجب يقضي بأن تراعى حقوق الناس ومشاعرهم الإنسانية، ومنها آلامهم، فإذا كانت الوسيلة المفضلة لخرق جبل في أماكن خالية من السكان هي أن نفجر في مكان الخرق المطلوب متفجرات قوية، لأن ذلك أسرع وأسهل، وأقل تكلفة، فهل يصح قياساً عليه أن يكون مثل هذا التفجير هو الوسيلة المفضلة لفتح طريق داخل مدينة مليئة بالعمارات السكنية، وآهلة بالسكان دون مراعاة للواجب الذي تفرضه حقوق الناس، ودون اكتراث بالشر الذي ينجم عن هذا العمل، ودون اعتبار لآلام الناس الذين يتعرضون لشرور هذا التفجير، وهل يصح أن يعتبر ذلك أمراً علمياً وتجريبياً محققاً للمطلوب بأسرع وقت، وأسهل عمل وبأقل تكلفة، كما زعم "برتراند رسل" حين أيد آراء «مكيافيلي» بأنها عملية وتجريبية مؤسسة على خبرته الخاصة بالشؤون العامة .⁽²⁾

01 - صالح حسن العكيلي، الوجه الآخر للنهضة الأوربية، الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، 2006م، ط1، ص17.

02 - المرجع نفسه.

فالمنهج العلمي الذي يطبق على الأشياء غير الحية لا يصح تطبيقه من كل الوجوه على الأحياء، وعلى الناس بشكل خاص، لأن الأحياء بوجه عام لهم حقوق تجب مراعاتها، ولأن الناس بوجه خاص لهم حقوق زائدة على حقوق الأحياء الأخرى.

يجب وضع كل هذه الحقوق في الاعتبار لدى اتخاذ مناهج علمية تطبق على الأحياء عموماً، وعلى الناس خصوصاً، كما السلوك الإنساني ليس بالمقياس الذي يبرر به السلوك.

الجانب الثاني:

تفوق المستهينين بفضائل الأخلاق والمرتكبين لردائلها في الوصول إلى الحكم وفي تثبيته على الملتزمين بفضائل الأخلاق المجتنبين لردائلها هو المبرر العلمي لاتخاذ وسائل غير أخلاقية من أجل الوصول إلى الحكم وتثبيته مطابقاً تماماً لاعتبار وسائل الغش والخديعة واللصوصية، وأكل أموال الناس بالباطل، هي الوسائل المفضلة للوصول إلى الثراء الفاحش، والاستمتاع بلذات الحياة، وتدعيم الرأسمالية المفرطة، والإعتماد على وسائل القتل الجماعي وسلب أموال الأغنياء، وإقامة الثورات المدمرة، واستعباد الشعوب من أجل وصول الأحزاب الشيوعية والاشتراكية إلى السلطة، فكل هذا غير مقبول أخلاقياً لدى الشيوعيين والاشتراكيين، والأمر نفسه لدى الرأسماليين والديمقراطيين، مع أن الأول والثاني كليهما يمكن تبريرهما بأن الغاية تبرر الوسيلة، وفق مذهب «مكيافيلي» المتبع لدى المذهبين المتناقضين في العالم: الرأسمالية وديمقراطياتها - والشيوعية وديكتاتوريتها".

فإن الحكم المنطقي يقضي بأن كلا من الرأسماليين المكيافيليين، والشيوعيين المكيافيليين، متناقضون مع أنفسهم بالنسبة للردائل الأخلاقية.⁽¹⁾

فهي مقبولة إذا كانوا يمارسونها هم ضد غيرهم، ومرفوضة إذا كان غيرهم يمارسها ضدهم، وهذا تناقض منطقي بديهي لا يلتزم به من يحاكم الأمور بعقله، ولكن يكابر فيه من يحاكم الأمور بأهوائه وشهواته ومصالحه الخاصة، كلما كان له هوى أو شهوة أو مصلحة، لا تقام عليها حجج علمية ضد الآخرين الذين لهم أيضاً أهواء أو شهوات أو مصالح خاصة تقف في الطرف المقابل.

ويكفي هذا التناقض مع الذات لإسقاط "المكيا فيلية".

وعليه نخلص أن التناقض في أي مذهب أو أية فكرة هو من أقوى البراهين التي تدعو لإبطال المذهب أو الفكرة ونقضهما.

الجانب الثالث:

ل يتساءل كل من له عقل، بل كل من لديه مقدار يسير منه عن التفسير المنطقي لهذا الرأي المنحرف الذي يعبر عنه بأن "الغاية تبرر الوسيلة"، والذي لا يستطيع إنسان في الدنيا أن يقبله على إطلاقه، مهما بلغت به الجريمة، ومهما بلغ به الشذوذ الفكري والنفسي.

من المعروف في الحياة أن لكل إنسان ولكل مجموعة بشرية مطالب نفسية وحاجات جسدية، وأنه لا بد لتحقيق أي مطلب من مطالب النفس وأية حاجة من حاجات الجسد من اتخاذ وسيلة إلى ذلك. (1)

ل يروج صغار العقول أو المجرمون آراء "مكيا فيلي" هذه التي تقول: «إن الغاية تبرر الوسيلة»، ويدعون هذا الكلام يسير على إطلاقه دون قيود المنطق السليم والحق الثابت والفضيلة المثلى، وعليه لابد أن يتصرفوا في حياتهم تصرف المجانين، أو يكونوا شياطين مجرمين، يخادعون الناس بهذه الآراء التي يطلقون عليها زوراً و تزيفاً اسم «نظرية» ليفعلوا كل جريمة، دون أن يسميهم الناس مجرمين. لقد ستروا أنفسهم المجرمة بطلاء ما أسموه "نظرية مكيا فيلي".

إذ لا يكون من المستغرب أن يحرق المكيا فيلي مجموعة من أوراق النقد ذات الأرقام العالية، والقيمة الكبيرة، ليغلي عليها ما يصلح فيه كأساً من الشاي، أو فنجاناً من القهوة، فغايته التي هي شرب الشاي أو القهوة، تبرر له وسيلة إحراق الأوراق النقدية الكبيرة، وخسارة الألوف، مقابل شراب لا يساوي بضعة فلوس.

ويلزم من هذا المذهب أن لا يرى الميكافيليون مانعاً من إلقاء مخطوطات علمية عظيمة نادرة، في نهر كبير، لتكون بمثابة جسر مؤقت تعبرُ عليه جيوش الغزاة.

وليس من المهم بعد ذلك أن تخسر الإنسانية ذخائر المنجزات العلمية والفكرية الحضارية، التي خلفتها القرون الأولى، فالغاية تبرر الوسيلة. (1)

حيث لا يرون مانعاً من تجويع الألوف من البشر، وسرقة خيراتهم، ليستمتع مجرم واحد بمظاهر الترف والرفاهية، فالغاية تبرر الوسيلة.

فلا يرون مانعاً من أن يحرق إنسان مدينة كاملة ليتمتع بمشاهدة لهيب نار عظمى عن بعد، ثم يدين بها براء ويعاقبهم بهذه الجريمة النكراء، والمثال ليس ببعيد وجدناه عند «نيرون» إمبراطور روما من خلال قذف وحش ضاري جائعاً إلى حلبة المصارعة مع إنسان بريء حتى يتمتع بمشاهدة ظفر الغالب منهما ومصراع المغلوب.

كل هذا ينبغي أن يكون مقبولاً لدى «المكيافيليين» لأن الغاية تبرر الوسيلة، فإذا كانت الغايات تبرر أية وسيلة دون قيد أو شرط، فما أجدد المكيافيلي الذي يأخذ بهذه الفكرة الفاسدة أن ينحدر إلى أدنى مرتبة يمكن أن تتصور في الوجود.⁽¹⁾

وكل هذه الأمثلة قصد تعميم الفكرة المكيافيلية: "الغاية تبرر الوسيلة" التي لا تمت للمعقول بصلة أو علاقة.

خاتمة :

من خلال دراستنا للمفكر مكيا فيلي توصلنا أن ظروف العصر التي نشأ فيها وتطورات البنية التي أحاطت به جعلته يعتنق المبدأ الواقعي في تحليل الأوضاع الاجتماعية، وخاصة منها السياسية وإيمانه بمبدأ القوة في الحكم وبناء الدولة والمحافظة عليها لاستمرارها، ولهذا وجدنا أن ميكيا فيلي يعتبر من المفكرين السياسيين الذين استطاعوا أن يدركوا تمام الإدراك الواقع السياسي الفاسد الذي عاشته إيطاليا، فحمل على عاتقه مسؤولية خلاص إيطاليا، فلقد أدرك أن النظم السياسية التي كانت سائدة في أوروبا عقيمة، إما لضعف النظام القائم أو لضعف شخصية الحكام السياسيين أنفسهم، وعلى هذا الأساس حاول ميكيا فيلي إنقاذ إيطاليا من الإنحطاط والخراب وفساد النظام البابوي بأي أسلوب أبعد فيه الأخلاق عن الحكم متخذاً من القوة والوسائل الأخلاقية والذرائع اللادينية أدوات لتحقيق الوحدة القومية لإيطاليا، فانطلق من مبدأ الغاية تبرر الوسيلة في المحافظة على الدولة.

وعليه يظهر لنا أن الفكر السياسي الميكيا فيلي تعرض للكثير من الانتقادات التي وجهت له غير أن هذه الانتقادات لم تكن مانعا أمام أفكاره السياسية التي أثرت في كثير من الشخصيات السياسية، وهذا ما يؤكد الواقع الذي نعيشه اليوم فكل السياسيين اليوم يعتقدون الفكر السياسي الميكيا فيلي في تعاملاتهم السياسية سواء كان في الدولة الواحدة أو في تعاملهم مع الدول الأخرى.

وكما سبق لنا أن ذكرنا في المقدمة أن الظروف والواقع يدفعنا للتأمل من جديد والإطلاع على الفكر السابق ومدى استمراره وتطابقه مع واقعنا مما يجعلنا نستنتج أن هذه الأفكار لم تنتهي وإنما هي مستمرة ولا زالت إلى يومنا هذا فهي تظهر في صورة علنية أو صورة خفية وهذا حال المجتمعات الإسلامية التي تواجه فكرة القوة في تعاملاتها مع الدول الغربية وخاصة منها أمريكا في سياستها مع الربيع العربي.

وبعد كل هذا توصلنا إلى الإستنتاجات الآتية:

- ✓ ميكيافيلي شخصية طموحة معادية للطغاة، تدعو إلى التمسك بمبادئ القوة .
- ✓ اعتمد ميكيافيلي في كتابه الامير على مواصفات الامير التي يمكن أن يثبت قوته للشعب من خلال جبروته.
- ✓ باعتبار الشعب الاساس في اختيار الحاكم، كان على ميكيافيلي أن يبتكر شخصية الأمير من الموجود بصفة بطولية.
- ✓ قدم ميكيافيلي في منهجه صورة للواقع كما هو دون تفسير أو تعميم من خلال تقديم مجموعة من العمل السياسي المصورة للواقع دون تدخل من جانبه بالتفسير أو التعميم للنتائج.
- ✓ تشابه وجهات النظر عبر التاريخ مع الفيلسوف ميكيافيلي فيما يخص اعتبار الأخلاق العامل الحاسم في صلاح الفرد والجماعة وتقدم الأمم والشعوب.
- ✓ قام ميكيافيلي بالتفريق بين دراسة السياسة ودراسة الشؤون الأخلاقية، وأكد على عدم وجود أي رابط بينهما.
- ✓ بين ميكيافيلي أنه على الأمير أو الحاكم أن يعمل كل ما في وسعه ليصل إلى الغاية التي يرغب في الوصول إليها وتحقيق أهدافه و مصالحه دون الأخذ بعين الاعتبار القيم الأخلاقية .
- ✓ ميكيافيلي دعا لضرورة الفصل بين الأخلاق والسياسة من خلال تركيزه على بعض النقاط الواردة في كتابه الأمير والداعية إلى تمثيل النجاح والقوة بصفات أخلاقية تظهر في الحاكم.
- ✓ ظهور العديد من الحكماء والرؤساء المتأثرين بمكيافيلي أمثال موسولوني في إيطاليا و هتلر في ألمانيا، كذلك ميكيافيلية حديثة عند جمال عبد الناصر بمصر والقذافي بليبيا.

وفي الأخير نقول أن أفكار مكياقلي ألهمت العديد من الحكام والأمراء خاصة الذين قرؤوا كتاب الأمير، والمتأثرين بطيقته في الوصول إلى الحكم، وشق لنفسه طريقا خاصا في السياسة المستبدة الطامعة للسلطة.

قائمة المصادر والمراجع:

أ- قائمة المصادر:

- 1- أودلف هتلر، كفاحي "قراءة جديدة في مذكرات هتلر ونهايته"، عرض وتحليل فريد الفالوجي، دار الكتاب العربي، القاهرة 2005م، ط 1.
- 2- نيقولا مكيافيلي، الأمير "تراث الفكر السياسي قبل الأمير وبعده"، تر: خيرى حماد، الأهلية للنشر والتوزيع، 2008م، ط 1.
- 3- نيكولا مكيافيلي، الأمير، تر أكرم مؤمن، مكتبة ابن سينا للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 2004م، د.ط.
- 4- نيقولا مكيافيلي، المطارحات، تعريب: خيرى حماد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1982م، ط 3.
- 5- نيقولا مكيافيلي، الأمير، تعقيب: فاروق سعد، مكتبة لبنان، بيروت، 2008م، ط 1.

ب- قائمة المراجع:

- 01- أبو عيشة، عبد الفتاح، موسوعة القادة السياسيين عرب وأجانب، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2002، ط 1.
- 02- أبو نصر الفارابي، الجمع بين الرأي الحكيمين، بيروت-لبنان، 1972م، ط 2.
- 03- أحمد فؤاد الأهواني، نوابغ الفكر الغربي أفلاطون، دار المعارف، القاهرة، 1999م، ط 1.
- 04- إدوارد ميدايرل، رواد الإستراتيجية الحديثة، تر محمد عبد الفتاح إبراهيم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1962م، د.ط.
- 05- إسماعيل نوري الربيعي، دفاتر السياسة والقانون، الجامعة الأهلية، البحرين، جانفي 2013م، العدد الثامن.

- 06- أكسل فاييس، أطلس الفلسفة، تر:جورج كتورة، المكتبة الشرقية علي مولا ، 1999م، ط1.
- 07- الحسن عيسى، أعظم شخصيات التاريخ، دار الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن ، 2010 ، ط1.
- 08- السيد عاطف، عبد الناصر وأزمة الديمقراطية، فلمنج للطباعة، الإسكندرية ، 2001م، د.ط.
- 09- آلان تد، ديمقراطيات وديكتاتوريات سادت أوروبا والعالم 1919-1989، شركة الحوار الثقافي، لبنان، 2004 م، د.ط.
- 10- إيتين جلسون، الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 2009م، ط3.
- 11- إيميل برييه، اتجاهات الفلسفة المعاصرة، تر:محمد قاسم، دار الكشاف، د.س.ن ، د.ط.
- 12- برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، تر:محمد فتحي الشنيطي، المكتبة المصرية العامة للكتاب، 1977 م، د.ط.
- 13- إيفوار بيليايف، مصر في عهد عبد الناصر، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1975م، ط1.
- 14- جاك رومال وماري لورا، جمال عبد الناصر من حصار الفالوجة حتى الإستقالة المستحيلة، تق:جنبلاط كمال، تر: نشاطي ريمون، دار الآداب، بيروت ، 1979م ، ط5
- 15- جبران عيسى، أعظم الشخصيات في التاريخ، دار الأهلية للنشر والتوزيع، عمان ، 2008 ط1 ،
- 16- جورج المصري، ناصرية الناصرية الغائبة، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 1998 م، ط1 .

- 17- جورج فوشيه، جمال عبد الناصر وصحبه، دار المعارف، القاهرة، 1960 م، د.ط.
- 18- رمضان عبد العظيم، هيكل والكهف الناصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995م، ط1.
- 19- سعيد أبو الريش، جمال عبد الناصر آخر العرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005، ط1.
- 20- صالح حسن العكلي، الوجه الآخر للنهضة الأوربية، الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، 2006م، ط1.
- 21- عادل ثابت، الفكر السياسي الإسلامي، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2002م، د.ط.
- 22- عبد الرحمن عبد الغني، ألمانيا النازية وفلسطين 1932-1945، مؤسسات للدراسات الفلسطينية، بيروت، 1995م، ط1.
- 23- عصمت سيف الدولة، هل كان عبد الناصر ديكتاتورياً؟، بيروت، 1977م، ط1.
- 24- علي أبو ملح، آراء أهل المدينة الفاضلة ومضاداتها لأبي نصر الفارابي، دار مكتبة الهلال، 1955م، ط2.
- 25- فاروق سعد، مع الفارابي المدن الفاضلة ومضاداتها لأبي نصر الفارابي، دار الشرق بيروت، 1402هـ/1982م، ط1.
- 26- فايز صالح أبو جابر، الفكر السياسي الحديث "الموسوعة السياسية العالمية"، دار الجيل، بيروت، 1985م، د.ط.
- 27- فضل الله إسماعيل، الأصول اليونانية للفكر السياسي الغربي الحديث، كفر الدار "بستان المعرفة"، د.د.ن، 2001م، ط1.
- 28- محمد أبو سمرة، المحرقة النازية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، د.س.ن، ط1.
- 29- محمد الجبر، الفكري الفلسفي الاخلاقي عند اليونان، دمشق، 1994م، ط1.
- 30- محمد عرب صافيل، تاريخ الفكر السياسي، بيروت، 2006م، ط5.

- 31- محمد مهران رشوان، تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، دار قباعة، 1998م، د.ط.
- 32- محمود سعيد عمران وآخرون، النظم السياسية عبر العصور، دار النهضة العربية، بيروت، د.س.ن، ط1.
- 33- موسى إبراهيم، الفكر السياسي الحديث والمعاصر، دار المنهل اللبناني للدراسات، د.م.ن، 2001م، ط1.
- 34- مولود زايد الطيب، علم الاجتماع السياسي، جامعة السابع من أفريل، ليبيا، 2007م، ط1.
- 35- موريس فردوارد، أعلام الفكر السياسي، دار الصداقة، بيروت-لبنان، 2008، ط1.
- 36- مصطفى عبده، فلسفة الأخلاق، مكتبة مديولي، القاهرة، 1999، ط1.
- 37- مهدي محفوظاتجاهات الفكر السياسي في العصر الحديث، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، د.م.ن، 2007 م، ط3 .
- 38- نوار عبد العزيز، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، دار الفكر العربي، الكويت 1999 م، د ط .
- 39- نور الدين حاروش، تاريخ الفكر السياسي، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ط2.
- 40- هالة أبو الفتوح أحمد، فلسفة الأخلاق والسياسة المدينة فاضلة عند كونفوشيوس، الطور الأول، د.س.ن، د.ط.
- 41- هنري كوربان مع آخرون، تاريخ الفلسفة الإسلامية، بيروت-لبنان، 1998 م، ط2.
- 42- يحيى الجمل، الأنظمة السياسية المعاصرة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.س، د.ط.
- 43- يوسف فرحات، الفلسفة الإسلامية وأعلامها، جنيف، 1983م، ط1.

03- قائمة الموسوعات والمعاجم:

- رؤوف سلامة موسى، موسوعة أحداث وأعلام مصر والعالم، دار مطابع المستقبل بالفجالة ومكتبة المعارف، الإسكندرية، بيروت، 2002 م، ط1.
- عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلاسفة، د.د.ن، بيروت، 1974م، ج2، ط1.

مواقع الأنترنت:

- ويكيبيديا الموسوعة الحرة.
- www.djelfa.info.

ملخص:

إن التاريخ على شهادة تامة بأن نيكولا ميكافيلي من بين الفلاسفة السياسيين الغربيين الذين خلدوا أسماؤهم في تاريخ الفكر السياسي، فحمل على عاتقه مسؤولية خلاص إيطاليا، حيث حاول إصلاح الوضع الاجتماعي وبالخصوص المجال السياسي، فوضع نظريته الميكافيلية كمحاولة لتحقيق الوحدة القومية الإيطالية، وعودة النظام الجمهوري في الحكم، فالظروف التي أحاطت به والبيئة التي ترعرع فيها جعلته يتخذ منها مغيرا للفلاسفة الذين سبقوه، وهذا ما جعله يؤمن بالمبدأ الواقعي في تحليل الأوضاع السياسية، فلجأ إلى أسلوب أبعد فيه القيم الأخلاقية والدينية من الدائرة السياسية متخذا من القوة والحيلة كأدوات لتحقيق الوحدة القومية، ولهذا أقر في نظريته السياسية ضرورة الفصل بين الأخلاق والدين عن السياسة، ولهذا يعد فيلسوفنا رجل سياسة لا رجل دين، فكان من أشد المناهضين للسلطة الروحية.

إن النظرية السياسية الميكافيلية كانت محل اهتمام الكثير من المفكرين وبالخصوص رجال السياسة، إذ واجهت هذه النظرية العديد من الاعتقادات غير أن هذا لم يكن مانع لتأثيراتها على النظم السياسية المعاصرة، إذ أغلب السياسيين مارسوا سياسة على أسلوب نظريته بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وهذا ما يظهر في الواقع اليوم.

الصفحة

مقدمة.....	أ-ج.....
الفصل الأول: أخلاق القوة عند مكيا فيلي.....	27-07
تمهيد.....	07
- <u>المبحث الأول: السيرة الذاتية لمكيا فيلي</u>	08
أ/ مولده و نشأته.....	08
ب/ أهم مؤلفاته و منهجه.....	10
ج/ الخلفية التاريخية.....	14
- <u>المبحث الثاني: الجذور التاريخية للأخلاق وعلاقتها بالسياسة قبل مكيا فيلي</u> (عبر العصور).....	17
أ/ العصر اليوناني (سقراط، أفلاطون، أرسطو).....	17
ب/ عصر الوسيط القديس (أغسطين).....	21
ج/ عصر المسلمين (العرب الفرابي).....	24
الفصل الثاني: مكيا فيلي ومحاولة رسم معالم الفكر السياسي.....	29
تمهيد.....	29
- <u>المبحث الأول: النظرية السياسية عند مكيا فيلي</u>	30
أ/ ضرورة الفصل بين الأخلاق و السياسة عند مكيا فيلي.....	30

- 34.....ب/ مبدأ القوة و مشروعيتها عند ميكيا فيلي
- 36.....ج/ خصال الحاكم و المحكومين
- 39.....- المبحث الثاني: الدين و السياسة عند ميكيا فيلي
- 39.....أ/ عداؤه للبابوية
- 41.....ب/ فصل الدين عن السياسة
- 44.....ج/ الدين وسيلة أداة للإقناع
- 46.....د/ أنواع الحكومات
- 52.....الفصل الثالث: تأثيرات فكر ميكيا فيلي
- 52.....تمهيد:
- 53.....- المبحث الأول: الدكتاتورية الغربية الحديثة
- 53.....أ/ موسليني في إيطاليا
- 60.....ب/ هتلر بألمانيا
- 71.....- المبحث الثاني: الميكيا فيلية العربية المعاصرة
- 72.....أ/ جمال عبد الناصر
- 78.....ب/ معمر القذافي
- 82.....- المبحث الثالث: استشرافات لأفكار ميكيا فيلي
- 82.....أ/ آراءه و أفكاره

84.....ب/ الإنتقادات

91.....خاتمة

95.....قائمة المصادر والمراجع

102.....الفهرس

103.....الملخص